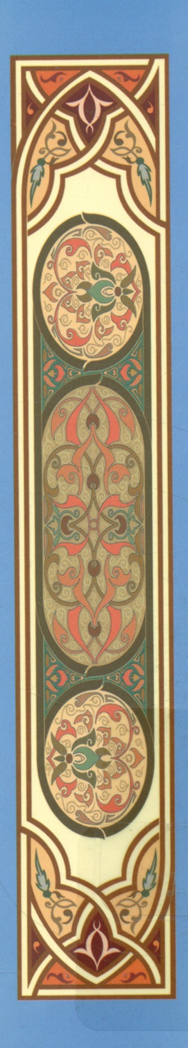
شرح منظومة

الفتحِ الوَهْبيِّ في مُوجَز تارِيخِ بعض أئمّة النَّحوِ العَرَبِيِّ

صنعهُ

محمّد أحمد الوليد الحسنيُّ



إهـــــــــداء ٢٠٠٩

الاستاذ / محمد احمد الوليد

جمهورية مصر العربية

إلى مكتبة الإسكندرية عرفانا بدورها ومجازاة لصنيعها
محمد الوليد

شرحُ منظومة

الفتحِ الوَهْبِيِّ في مُوجَز تارِيخِ بعضِ أئمَّة النَّحوِ العَرَبِيِّ

صنعــه

محمد أحمد الوليد الحسني

دار الطباعة الحرة

١٠ شارع – أبن شجاع الازاريطة

ت – ٤٨٦٠٠١٢

رقم الايداع ٧٠١٧ / ٢٠٠٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

يوسف الآية :2

الإهداء

هذا العمل أهديه إلى روح أخي الأكبر

(عبد المالك أحمد الوليد)

راجيا من الله الرَّحمن الرَّحيم

أن ينوِّر قبرَه،ويسكنَه فسيحَ جنَّاته،ويجمعَنا به فى مستقر رحمته.

مقدمة الكتاب

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، قيّومُ السَّمواتِ والأرَضين ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المُرسلين سيِّدنا مُحَمَّدٍ النّبيِّ الأميِّ وعلى آلـهِ وصحبِهِ ومن تبعَ نهجَه إلى يوم الدِّين القائلِ :﴿إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنيَّاتِ ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ﴾.

أمَّا بعد:

فإنَّ علمَ العربيَّة من أشرف العلوم قدراً ، وأخطرها أثرا ، وأجداها نفعا ، وأقدمها وضعا ، إذ يُنسبُ وضعُه للخليفة العابد الرَّاشد ، بابِ مدينة العلم الخالد ، علي بن أبي طالب -كرَّم الله محيَّاه،ووالى من والاه - ويكفيه عَوفا وشرفا أنَّه مُستمدٌّ من كتاب الله الأعظم ، ولغةِ رسوله الأكرم ، وأنَّه شرطٌ لتفسيره ، وقراءته وتحبيره .

وقد اعتنى أئمَّةُ الإسلام ، والفحول الأعلامُ من المفسِّرين والمحدِّثين والفقهاء وسائرُ النبلاء ، بعلم النَّحو عنايةً بالغةً ، وأولوه مكانةً سابغة ، بعد أن رأوا حجَّته في الاستنباط ، وأوليَّته فى الاشتراط ، فانتضموا في سلك دارسيه ، وروَّاد مبانيه ، حتَّى إذا أخذوا من زاده ما يكفيهم ، ومن برهانه مايحميهم ، رحلوا إلى ما أرادوا علمَه وفهمَه ، فالنَّحو من البناء عمود ، وتأخيرُه كتأخير الحاجِّ عرفةَ بعد العيد ، فلا تمَّ حجُّه ،

ولاصحَّ نهجُه ، فهو ممَّا حقُّه التَّقديمُ عند أهل المعرفة والتَّعليم ، ورحم الله الحافظَ العراقيَّ فى ألفيَّته عند قوله محذِّرا من إملاء الحديث على من لايُحسنُ العربيَّة.

وليحذر اللحَّان والمصحِّفا على حديثه بأن يحرفا .

فيدخلا فى جملة من كذبا فحقٌّ النَّحو على من طلبا

ولقد شرُفتُ بأن أكون من طلَّابها ، ومحبّاً لأربابها ، فعكفت على دراسة مشائخها النُّحاة ، وأعلامها الثقات ، فرأيت في دراسة آثارهم وأخبارهم مبلغَ حُبِّهم ، وعظيمَ طلبهم ،كشدِّ الرِّحال ، وبذلِ الأموال ، والحرصِ على السَّماع ، وجمعِ الرِّقاع اللماع ، فهم -واللهِ- الدُّررُ الصَّافية ، والنُّجومُ الهادية ، قال ثعلب مخاطبا أبا بكر بن مجاهد المقرىء : يا أبابكر ، اشتغل أصحابُ القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أهلُ الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغل أصحابُ الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغلتُ أنا بزيد وعمرو فليت شِعري ماذا يكون حالي فى الآخرة ؟ قال أبوبكر ، فانصرفتُ من عنده ، فرأيتُ تلك الليلةَ النبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- فى المنام فقال لي : أقرئ أبا العبَّاس عنِّي السَّلام وقل له: إنَّك صاحبُ العلم المستطيل. قال أبوعبدالله الروذْباري العبدُ الصَّالحُ – رضي

الله عنه - أراد أنَّ الكلام به يكمُل ، والخطابَ به يجمُل ، وأن جميع العلوم مفتقرةٌ إليه

فالحمد لله ربِّ العالمين الَّذي جعلني ممَّن انتسب إليها ، وحظي بشيءٍ من فيض علومِ أهاليها.

ولمَّا كنتُ أحدِّثُ الطلبةَ عن أولئك الأعلام أثناء الدَّرس ، تيقَّـــن فى النَّفس أنَّ درايتهم بهم ضعيفةٌ ، ويخلطون بين نحاة البصرة والكوفة ، فأردتُ أن أضع شيئاً يُعرِّف ببعض مشايخِها ، وأساطين شمائخها ، فوجدتُ أنَّ النَّظم أمضى حفظاً ، وأومض لفظا ولا أعلمُ - على الرُّغم من الطلب الحثيث ، والبحث الدَّقيق - منظومةً نُظمت فى مبدئه وأعلامه ، وأقسامه ، فجاءت - فضلا من الله ونعمة - سابقةً غير مسبوقة ، حتى يظهر خلافُ الحقيقة ، ولا أدَّعي فيها حوزَ الكمال ، ولا فصلَ المقال ، وإنَّمـــا هي جهدُ مبتديء ، وعلم أبجدي ، وإن اطَّلع مطَّلِعُ على من سبقني فى شأنها وفنِّها فلينبهني ، فإنَّه قد أهداني كنزا ، وبصَّرني عجزا ، وجزاه الله عنِّي جزاء موفورا.

ونشدتك الله ألا تكون ممن دوّن فيهم الخضري في حاشيته على ابن عقيل :"إنَّ أعراض المؤلِّفين أغراضٌ لسهام ألسنة الحُسّاد ، وحقائبَ تصانيفهم معرضةٌ لأيدي النَّظارة تنتهب فوائدَها ثم ترميها بالكساد".

وقد اعتمدتُ في شرحي الموجز هذا على كثيرٍ من كتب التراجم والأخبار ستجدها في نهاية هذا التصنيف.

وسرت فيه على منهج الأوَّلين - غير قادح في الحديث - فلم أشر إلى أرقام الصفحات في الهامش ، ولأن المترجم لهم سهلٌ الرجوع إليهم في مصادر هذه التراجم ، فتسويد الهامش بهذه الأرقام والإحالات أرى أنَّهُ لا فائدة كبرى ترجى منه.

وقد رمتُ الآن شرحَها مُوجِزا إن مدَّ الله فى العمر،وحتَّمها فى القدر،ليكملَ المقصود ، ويتحقّق المنشود،والله أدعو تحقيق ذلك،بأيسر المسالك،وقد أسميته **"شرح منظومة الفتح الوهبي فى تاريخ بعض أئمة النَّحو العربي"**،وأدعو الله باسمه الكريم العليم العليّ العظيم ،أن ينفعَ بها المبتديء فى درسه،والناظمَ فى رمسه،إنَّه قريبٌ مجيبٌ فأقول:

يقولُ راجي رحمةَ المجيد   محمَّد بـــن أحمـــد الوليد

الحمد لله العليِّ الأكـــبرِ   عدَّ النجوم والحصى المبعثرِ

استفتاحٌ بالفعل المضارع " **يقول**" ،إشعارا بالاستمرار التجددي ، أو المقصودُ : المضيُّ بعد تمامها استحضاراً للصورة ، بطلب التخيل من السامع ، وقد مضى كثيرٌ من المؤلفين على استخدام المضيِّ ، والقصدُ تنزيلٌ له منزلة الواقع ، كأنَّه وثِقَ من نفسه بإيجاد هذا التأليف ، فغلبة الظن كاليقين في مواطن من الشرع ، وقد قلت :" يقول" مريدا هذه التأويلات .

وقد تصدّر ذكرُ اسم الناظم لاتزكيةً لنفسه ، وإنَّما تَبَعٌ لما مضى عليه أصحابُ المؤلّفات ، وقد خُرِّج على تحمّل عبء القول على القائل ، فإن كان حسناً فبتوفيق من الله ، وإن كان غير ذلك فمنسوبٌ إليه.

والناظم هو الفقيرُ إلى رحمة ربِّه الرَّحمن كثيرُ الذنوب والخطايا،محمّد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن امحمّد بن محمَّد بن أحمد الوليد بن عبد اللطيف بن عبد السَّلام بن عبد الرَّحمن بن عبد السّلام الأسمر الفيتوريّ، الإدريسيّ، الحسنيّ نسبة للحسن بن علي

ابن أبي طالب – كرَّم الله وجهه – والشرف بالعمل لا بالأصل ، ورحم الله القائل:-

لاتقل أصلي وفصلي يافتى : إنما الأصلُ والفصل ماقد حصل

وقديماً قالوا:- من اعتمد على أصله فاتته الفضائلُ ، وكفانا قول الرَّسُول الأعظم صلَّى الله عليه وسلَّم :﴿من بطَّأ به عملُهُ لم يسرعْ به نسبه﴾ نعوذ بالله من ذلك.

ولمَّا كان هذا النَّظم من فضل الله وإحسانه ، وكان شكرُ المولى واجبـاً ، إذ إنَّ شُكر المولى هو الأَولَى ، استفتح بـــ :

الحمـــد لله العلي الأكـــبر عـــدّ النجوم والحصى المبعثر

والحمد شرعاً : فعل تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً على الحامد ، أو غيره ، وهـــو واجبٌ على المسلم ، ومِمَّا رغَّب فيه الشرعُ ، ويتأكّد في بدء الأمور ، عملاً بقولـــه – صلّى الله عليه وسلّم-: ﴿ **كلُّ أمر ذي بال لايُبدأ فيه بالحمد فهو أجذم**﴾، فإن قيل: لِم لم تبدأ بالبسملة؟ فأقول : لاينفي عدمُ ذكرها خطّاً عدمَ وجودها نيَّةً ، وقد وصف لفظ الجلالة باسميه العليِّ الكبير ، وهما من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، تيمناً بهما ، وذُكر اسمه الكبير بلفظ أكبر ؛ صوناً للوزن ، وتيمناً بلفظ الآذان .

ولمّا أراد النّاظمُ أن يُشعرَ السامعَ بفضل الله عليه ، واستحقاقه للحمد ، فقد جاء هذا الحمدُ كثيراً ، فأطلقه على مرئي لا يمكنُ حصره ، أوّلهما في السَّماء ، وهو النُّجوم وثانيهما في الأرض ، وهو الحصى .

ثم قـــــال غفر الله له :-

مُصلّياً على النَّبيِّ الكامل   وآله وصحبه الأفــاضل

الصَّلاةُ من الله - تعالى- على نبيِّه رحمةٌ ، ومن الملائكة استغفارٌ ، ومن الآدميين التضرُّعُ والدُّعاءُ ، وهي واجبةٌ ؛ لقوله:﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَــا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ وقال- صلى الله عليه وسلم -:﴿ البخيــلُ من ذُكر اسمي عنده ، ولم يصلِّ عليّ﴾، وقد جاء في فضلها أحاديثُ كثيرةٌ ، وخصَّها العلماءُ بمؤلفاتٍ ومباحثَ ، فطوبي لمن أكثر الصلاة عليه ، وجعل أقوالَه وأفعالَه- صلى الله عليه وسلم- أمامَ عينيه .

ولم يُذكر اسمُه ههنا- صلّى الله عليه وسلّم- صراحةً اكتفاءً بدلالة الإشـــارة في قوله: ((**النّبيّ الكامل**)) أي: الذي اكتمَلَت صفاتُ الحسْن فيه خَلْقاً وخُلُقاً ، فإن قال قائلٌ : لِم لم تذكراسْمَه صراحة ؟ أُجيب : بأنه قد يوجـــد في دلالة الإشارة مالايوجد

بصريح العبارة ، ولا ينتفي ذكرُه نيَّةً عند النظم.

والآلُ هم : الإمام عليٌّ ، والسيدةُ فاطمةُ ، والسيدان الحسَنُ ، والحسينُ ،وذريَّتهما – رضي الله عنهم – وقيل: أزواجُه ، وقيل: آلُ جعفرٍ ، وآلُ عقيلٍ ، وآلُ عبَّاسٍ ، وقيل : قريشٌ كلُّها ، وقيل أمَّته .

(والأصحاب): من صَحِب النبيَّ – صلى الله عليه وسلم– وقد عُرِّف الصَّحابيُّ بأنَّه : "من آمن به في حياته ورآه ، ولو لم يتكلَّم معه"، وقيل غير ذلك ، وقد قُسِّموا إلى طبقاتٍ ، و قد خصَّهم الأئمةُ بمؤلفات ، مثل : كتاب طبقات ابن سعد ، والاستعاب لابن عبد البر ، والإصابة لابن حجر ، وغيرها كثير.

وبعد هذا التَّمهيد دخل في مضمونِ نظمه وهو النَّحو العربيُّ فقال :–

لغتنا هي أفضلُ اللغـــات　　　لأنها موضـــحةُ الآيـــــات

حُقَّ لها التبجيلُ والتعظيم　　　والصّون والإجلالُ والتكريمُ

فقل لســـائر الطلاب هُبُّوا　　　وانتهلوا من وِرْدها لتسموا

وردِّدوا دوماً على الأسماع　　　لغتُـــنا في ذروة اليــــفاعِ

أقول من قدرة الله وعظمته وإبداعه وجميل صنعه ، تعدُّدُ اللغات ، واختلافُ المخلوقات ، و قد أشار إلى ذلك في القرآن فقال:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ أي: لغاتكم.

وإذا كانت هذه اللغاتُ كلُّها قديمُها وحديثُها من عنده ، فإنَّ إنزالَه كتابَه الأعظمَ الَّذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾بلغة العرب فيه إشارةٌ عظيمةٌ إلى تفوّق العربيَّةِ على سائر لغات الدُّنيا ، بتنوع مفرداتها ، وجمالِ تراكيبها ، وجزالة سبكها ، فقال الله منبِّهاً عبادَه على فضلها ، ومشيرا إلى رفعتها:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقال أيضا :﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ فوصف اللهُ – جلَّ شأنه – اللغةَ العربيةَ بالبيانِ ، والإنزالِ من عنده ، يقولُ الإمامُ اللغويُّ ابنُ فارس :"والبيانُ من أعظم نعم الله على خلقه ، دليلُ ذلك قولُه تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ فقدَّم – جلَّ ثناؤه – ذلك البيانَ على جميع ما توحَّد بخلقه ، وتفرَّد بإنشائه من شمسٍ و قمرٍ ، ونجمٍ وشجرٍ ، وغير ذلك من الخلائق المُحكمة ، والنَّشَايا المتقنة ، فلمَّا خصَّ –جلَّ ثناؤه– اللسانَ العربيَّ بالبيان عُلم أن سائرَ اللغات قاصرةٌ عنه ، وواقعةٌ دونه ، ويذكر أحدُ علماء بلاد الغرب اسمه (**أرنست رنان**) في كتابه تاريخ اللغات

السَّامية دهشتَه من بقاء هذه اللغة صامدةً قويَّةً لم تتبدَّل بتغير الأزمان ، وسببُ ذلك – لو يعلم –كتابُ الله يقول :"ومن أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغةُ قويةً ، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أُمَّة من الرحَّل ، تلك اللغةُ التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقَّة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم عُلِمَت ، ظَهَرت لنا في حُلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغيَّر أيَّ تغيُّرٍ يُذكر ، حتى أنَّها لم يُعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولةٌ ، ولا شيخوخةٌ ، لا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها ، وانتصاراتها التي لا تبارى ، ولانعلم شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين من غير تدرّج ، وبقيت حافظةً لكيانها من كل شائبة"،ويقول **جون فرن** : " إنها لغةُ المستقبل ، ولا شكَّ أنه يموتُ غيرُها ، وتبقى حيَّة ، حتى يرفع القرآنُ نفسَه". ذكرتُ ذلك لتعلمَ ماقال أبناءُ الأمم الأخرى فيها.

واعلم – وفَّقك الله – أن القرآن شرَّف هذه اللغةَ ، وحفَّها بجناح القداسة ، وضمِن خلودَها ، حتى رُوي أنَّها لسانُ أهل الجنَّة ، وأن الله ألهما إسماعيلَ – عليه السلام– إلهاماً من غير تلقٍّ أو تدرُّجٍ في التَّعليم ، يقول الجاحظ: "**وروي في ذلك أثارٌ،** من ذلك ما رواه قيسُ بن الرَّبيع عن بعض أشياخه عن ابن عباس أنَّ الله ألهمَ إسماعيلَ

العربية إلهاماً". أقولُ: وهذا الأثَر– وإن كان قد اختُلف في راويه قيس بن الربيع جرحاً وتعديلاً– يُبرهن على عُمق قَدَاستها في نفوس الأوَّلين ، فأرجعوا نشأها إلى نبيٍّ من أنبياء الله، ولهذا قلت :–

لغتنا هي أفضل اللغات   لأنها موضحة الآيـــات

فذكرت فيه أن مرجع تفضيلها يعود إلى كونها أداةً لفهم الكتاب العزيز ، وفهم السُّنَّة المشرَّفة ، ولي في ذلك كتابٌ وسمته بـــ" **فضل العربية ومترلتها من العلوم الشرعية** " فيـــه مزيدٌ من ذكر شأنها في فهم الشريعة الغرَّاء ، ولعلَّه يخرج قريبا إن شاء الله .

ولَّما كانت الشريعةُ بفروعها يتوقَّف فهمُها على اللغة فهي الوسيلةُ ، و لذا تُشترط فى الاجتهاد قلت:

حُقَّ لها التبجيلُ والتعظيم   والصون والإجلال والتكريمُ

فقد ذكر العلماءُ أن تعلُّم العربية واجبٌ على كل مسلم ، يقول الإمام الشافعيُّ – رحمه الله– :" فعلى كُلِّ مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهدُه ، حتى يشهدَ به أن لا إله إلا اللهُ وأن محمّداً عبدُه ورسولُه ، ويتلو به كتابَ الله ، وينطقَ بالذِّكر فيما افترضه عليه من التكبير ، وأُمر به من التَّسبيح ، والتَّشهُّد ، وغير ذلك" . ولهـــذا قلت

مشيراً إلى تعلُّمها ، والحثّ على نشرها ، والتعريف بفضلها : -

فقل لسائر الطــلّاب هموا   وانتهلوا من وِردها لتسموا .

ورددوا دوما على الأسماع   لغتنا في ذروة اليفـــــاع

أي : ليس تعلُّمُها واجبا فقط ، وإنَّما نشرُ فضلها وعظمتها ، ولهذا قال:(وردِّدوا دوما) ، أى: الصِّبيةُ فى الكتاتيب ، والشيوخُ فى المحاريب ، وأين نحن منه اليوم !

ومَّما يُنقل في حكم تعلّمها قولُ الإمام السَّخاوي عند حديثه عن علم النَّحو: "وظاهرُه الوجوبُ ، وبه صرَّح العزُّ بن عبدالسَّلام حيث قال فى أواخرالقواعد : البدعةُ خمسةُ أقسامٌ : فالواجبةُ كالاشتغال بالنَّحو الذي يُفهم به كلامُ الله ورسولِه ؛ لأنَّ حفظَ الشَّريعة واجبٌ لا يتأتَّى إلا بذلك ، فيكون من مقدمة الواجب".

وقد ذهب بعضُ الفقهاء إلى أنَّ تعليم النَّصاري العربيَّةَ من باب المحرَّم ؛ لأنَّه يمكِّنُهُم من قراءة القرأن فيكذِّبونه ويهزأون به ، حتَّى قال ابنُ حبيبٍ الفقيهُ المالكيُّ : "من فعل ذلك حرصا يوجبُ إسقاطَ شهادته".

ويقول ابن تيميَّة إن اعتياد الخطاب بغير العربية مكروهٌ ، وهذا الحكم فى حقِّ عوام النَّاس ، أمَّا تعلُّمها من قِبل أهل الشَّريعة لا سيَّما أولئك الذين يتَّصلون بالتَّفسير القرآني

وغريب الحديث النَّبويّ ، وبالإفتاء فهو فرضٌ لازمٌ ، وواجبٌ محــتمٌ ، فمــا لا يــتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ.

ولما انتهيتُ من حكم تعلُّمها أشرتُ إلى حكم من طعن فى الحاجة إليها ، وانــتقص قدرَها ، وهذا ممّا عمَّت به البلوى على ألسنة الجهلة في أيَّامنا فقلتُ :

وقــل لكل جــاحدٍ عنيد قد قال أهلُ الفقه والتوحيد

وقــولهم مسطر مــدون مــشهر وظاهر مبيــــن

جميع مــن يطعن فيها أدب ونفسَه ثوب ضــلال جلبب

يقول الإمام المالكيُّ ابنُ رُشد فى فتاويه فيمن يسبُّ اللغة العربيةَ ، ويُنقص قدرَها ويردِّد أنَّه لاحاجة بنا إليها :"هذا جاهلٌ جدًّا ، فلينصرف عن ذلك ، وليتبْ منه فلايصحُّ منه شيءٌ من أمور الدِّيانة والإسلامُ إلابلسان العرب ،يقول الله : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

وسُئل أيضا – رحمه اللهُ – عمَّن يردِّد القولَ السابقَ ، وهو ممّن ينسبُ نفسَه إلى علوم الشَّريعة ، ويشتغلُ بالحديث والفقه ، فقال: "تلزمه التَّوبةُ والإقلاعُ عمَّا هو فيه ، إلَّا أن يُرى أنَّ ذلك منه فى دينه أو نحو ذلك ، فيؤدِّبهُ الإمامُ على قوله ذلك بحسب ما

يرى،فقد قال قولا عظيما"، وسبب ذلك أنّ الفقه مبنيٌّ في جزءٍ كبيرٍ منه على الفقه

يقول الإمام الطوفيُّ في الصَّعقة الغضبية : " إذ لو استقصينا المسائل الشَّرعيّة المعتمدة

على القواعد العربية لكانت مقدار ثلث الفقه على ما تقرَّر".

وقد ألَّف في بيان مترلتها من العلوم الشَّرعيَّة بعضُ كبار علماء الإسلام منهم :

- الإمام جمال الدين الإسنوي في كتابه : " **الكوكب الدري فيما يتخرَّج على الأصول النَّحوية من الفروع الفقهية** " ، وقد حقَّقه محمد حسن عواد ، ونشرته دار عمَّار بالأردن.

- والإمام نجم الدِّين الطوفي في كتابه :" **الصَّعقة الغضبيّة في الردِّ على منكري العربيّة** " ، وقد حقَّقه محمد الفاضل ، ونشرته دار العبيكان ، وحققه قبل ذلك الأدكاوي.

- والإمام ابن الأزرق في كتابه :"**روضة الإعلام بمترلة العربيَّة من الإسلام** "،وقد حقّق أيضا في جزئين ، ونشرته جمعية الدعوة الإسلاميّة بليبيا.

وبعد الفراغ من بيان فضلها ، وحكم من يطعن في شرفها ، أشرتُ إلى أقسام الكلمة للدخول في فنٍّ من فنون العربية ، وهو النَّحو تخلصاً من فنوها الأخرى وهى كثيرةٌ ، وذلك فى قولي:-

وقسّموا كلامنا فى النحو فـــى قسمـــة جلية كالصحو

أسماء افعال مع الحروف مــا غيرها فى علمنا المعروف

قسَّم علماءُ النَّحو الكلمةَ إلى ثلاثة أقسام هي : الاسمُ والفعلُ والحرفُ ، وهذه القسمةُ عقليةٌ استقرائيةٌ ، وقد قيل إنَّ البادىء لهذا التقسيم هو الإمام عليٌّ- كرَّم الله وجهه - ولايُستغرب من باب العلم وحكيم الإسلام .

وقد خالف هذا التقسيمَ أحدُ النُّحاة ، وهو أبو جعفر بن صابر فأضاف نوعاً رابعاً هو اسم الفعل ، وسمَّاه خالفةً ، وقد أجاب النُّحاةُ بأنَّ هذا النوع من أُفراد الاسم ، وليس نوعاً قائماً بذاته ،كما أجمعوا على ترتيب تقديم الاسم على الفعل ، وتقديم الفعل على الحرف ، يقول ابن هشامُ الأنصاريّ في شرحه على اللمحة:" يبتدئون بالاسم ؛ لأنَّه أشرفُ ؛ لأنَّ له فائدتين في باب الإسناد ، وهي إسنادُه والإسنادُ إليه ، ويثنُّون بالفعل ؛ لأنَّ له فائدةً واحدةً وهي إسنادُه ، ويثلِّثون بالحرف ؛ لأنَّه لا يُسند ولا يُسند إليه".

وقد يقول قائل: لم ذكرتَ هذا التقسيمَ والموضوعُ في تاريخ بعض مشاهير النحاة؟ فأقول : تخلصاً من فنونها الأخرى كما مّر ، وإنَّ أهلَه ظهروا منذ بدء هذا التقسيم ،

فهو زمن بدء النُّحاة ، ولهذا ترجم القفطيُّ رحمه الله للإمام عليّ - كرَّم الله وجهَه - في كتابه إنباه الرواة إذ إنَّه هو من بَدَأ هذا التقسيمَ للكلام ودلّ عليه في أصحِّ الروايات ، فافهم ذلك .

وسببُ وضعه ظهورُ اللحن في الكلام ، وخوفُ تحريف قراءة القرآن العظيم ويُروى في ذلك رواياتٌ عديدةٌ من ذلك مايرويه القفطيُّ قال:"الجمهورُ من أهل الرِّواية على أنَّ من وضع النَّحو أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه - قال أبو الأسود الدّؤلي - رحمه الله - : دخلتُ على أمير المؤمنين عليٍّ - عليه السلام - فرأيته مطرقاً مفكراً ، فقلتُ: فيم تفكّرُ يا أميرِ المؤمنين ؟ فقال: سمعتُ ببلدكم لحناً ، فأردتُ أن أضع كتاباً في أصول العربية ....".

وقيل: " إنَّ زياداً سمع بشيء ممَّا عند أبي الأسود ، ورأى اللحنَ قد فشا ، فقال لأبي الأسود : أظْهِرْ ما عندك ليكون للنَّاس إماماً ، فامتنع من ذلك ، وسأله الإعفاءَ حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ :﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بالكسر ، فقال : ماظننتُ أمر النَّاس وصل إلى هذا فرجع إلى زياد ... " ولبَّى نداءه ، وقيل إنَّ أبا الأسود نفسَه هو من سمع اللحن عندما مرّ به رجلٌ فارسيٌّ يُقال له سعد يقود فرساً ،

فقال له أبو الأسود : مالك لاتركبه ياسعد ؟ فقال :" إن فَرَسي ظالعاً " ، بالنَّصب وأراد أن يقول: ظالعٌ ، فضحك به بعض من حضر ، فقال أبو الأسود : هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه ، فصاروا لنا إخوةٌ ، فلو علّمناهم الكلامَ ، فوضع بابَ الفاعل ، والمفعول.

وإن اختلفت الرواياتُ في سبب وضعه ، فإنَّ مرجعها إلى أمر واحد ، وهو شيوعُ اللحن ، والخوفُ على العربيَّة من لسان الأعاجم ، ويتلخَّص ممَّا تقدَّم أنَّ النُّحاة ظهروا وقت شيوع اللحن على الألسنة ، وأقولُ: شيوع اللحن ؛ لأنَّ ظهور اللحن كان قبل ذلك بكثير ، فقد رُوي أنَّ اللحنَ حدث في عهد الرَّسول- صلى الله عليه وسلم- وقال كلمته المشهورة : ﴿أرشدوا أخاكم فقد ضل﴾ ، ولم أقف عليه بسندٍ يحتجُّ به .

ومشايخُ النَّحو كثرٌ في طبقات مختلفة بدءاً من الإمام علي – عليه السلام – حتّى عصرنا ، تدفعُه طبقةٌ إلى طبقة ، وسابقةٌ إلى لاحقه ، يحملون لواءه ، ويشرحون غامضه ويزيلون مشكله ، ويبسطون عبارته ، ولذا ما انقطع التأليفُ فيه ، ولذا قلت :

أشياخها أسماؤهم كثيرة لأنهـــا في علمها غزيـــرة

أربابها أسماؤهم مذكورة   قد سطرت في كتب مشهورة

فما يميز أمّةُ الإسلام عن غيرها أنَّها أمَّةُ السَّند ، تحفظُ أسماءَ رجالها ، وتتبعُ أخبارَهم ، وتدرسُ حياتهم ، ويرجع فضلُ ذلك إلى أئمّة الحديث النبويِّ الشَّريف ، الَّذين درسوا أحوال الرجال ، وفحَّصوا الأسانيد ، وألفوا فيهم الكتب ، مثل كتب طبقات الحفاظ ، أو كتاب الجرح والتعديل ، أو ميزان الإعتدال وغيرها كثيرٌ ، وعلماء اللغة تأثَّروا بما فعل علماءُ الحديث، وهذا ليس غريباً ، فمن علماء اللغة محدِّثون، كالإمام ثعلب الَّذي حفظ عن عمر القواريري مائة ألف حديث ، غير أنَّ شهرته في اللغة حجبت شهرتَه حافظاً للحديث ، ومن أمثلة تأثرهم بأئمَّة الحديث العناية بذكر سند اللغة ،فإننا نجد نحاة كبارا يروون اللغة عن أشياخهم ليتَّصلوا بالإمام عليٍّ — رضي الله عنهُ –، مثل ابن بري فهو يروي عن أبي عبد الله محمد بن بركات النَّحوي،عن أحمد بن بابشاذ، عن الحوفي ، عن الأدفوي ، عن أحمد بن إسماعيل النَّحَّاس ، عن أبي إسحاق الزَّجاج، عن المبرِّد ،عن المازني والجرّمي ، عن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ، عن سيبويه عن الخليل عن أبي عمر بن العلاء ، عن نصر بن عاصم ، عن أبي الأسود الدؤلي ، عن الإمام علي – كرم الله جهه – وعن ابن برّي سالف الذّكر أخـــذ جماعةٌ

من علماء أهل مصر، وجماعة من القادمين عليه من المغرب كالجزولي .

وقد انتشر هؤلاء العلماءُ في أصقاعٍ مختلفة ،ونواحٍ بعيدة عبر أزمان كثيرة ، وخصَّهم العلماءُ بكتب تحوي أخبارَهم، منها المطوَّل، ومنها المختصر ، فمن تلك الكتب ، ولن أذكر إلَّا المطبوع منها كتاب أخبار النحويين للمُقرِيء (349هـ) ، ومراتب النحويين لأبي الطّيب اللغويّ (بعد 351هـ) ، وأخبار النحويين البصريين للسّيرافي (368هـ) ، وطبقات النَّحويين اللغويين للزبيدي (379هـ) ، وتاريخ العلماء النحويين لابن مِسْعَر (442هـ)، وإنباه الرواة على أنباه النُّحاة لجمال الدِّين عليّ بن يوسف القفطيّ (646هـ)، وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لليماني (743هـ) ، والبُلغة في تراجم أئــمَّة النَّحو واللغة للفيروزآبادي(817هـ) ، وطبقات النحويين لابن قاضي شهبة (851هـ) ، وبغــية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة للسيوطي (911هـ) ، ولذا قلت فى كثرة علمائها ، وهذه الكتب

أشياخها أسماؤهم كثيرة   لأنها فـــى علمـــها غزيرة

أربابها أسماؤهم مذكورة   قد سطرت فى كتب مشهورة

ثم قلت :-

أولهم إمامُنا العـــــليُّ ليـــث الحروب غوثنا عليّ

وهو الإمام عليٌّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منافٍ الصحابيُّ الجليلُ ، صهرُ النبيِّ ، ورابعُ الخلفاء الراشدين ، رُويت فى فضائله أحاديث كثيرة تدل على شرفه ، وعلو منزلته ، منها قول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : ﴿أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنَّه لانبيَّ بعدي﴾ ، وقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: ﴿لايبغضك إلا منافق ولايحبُّك إلا مؤمنٌ ﴾ شهد مع رسول الله سائرَ الغزوات ، وكان صاحب لواء يفتح على يديه، قتل شهيداً على يد أحد الخوارج في رمضان،وعمره ثمان وخمسون سنة وقيل سبع وخمسون وقيل: ثلاث وستون، يقول القفطي رحمه الله:"الجمهور من أهل الرواية على أنَّ أول من وضع النَّحو أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه". وقال بعد أن ساق رواياتٍ في سبب وضع علم النَّحو: "وأهل مصر قاطبة يرون بعد النَّقل والتصحيح أنَّ أوَّل من وضع النَّحو عليٌّ بن أبى طالب – كرَّم الله وجهَه – ".

ثم قلت :

وسيبويه قطبُها المشهــور   كتابُه قرآنُها المســـطور

قد استقى من منهل الخليل   منقولَ حكمها مع التعليل

هو عمرو بن عثمان بن قَنْبر ، بفتح القاف وسكون النون ، وفتح الباء ، المعروف بسيبويه ، الإمامُ الحُجَّةُ الثَّبتُ ، ونقل الفيروزآبادي في البلغة ، ونص على غرابته أنَّ هناك من زعم أن اسمه بشر بن سعيد ، قال :"وهو غريب والمشهور عمرو".

أخذ النَّحوَ عن الإمام اللغوي الصَّالح الزَّاهد الخليلِ بن أحمد الفراهيدي مبتكر علم العروض أخذ ملازمة ، وأكثر من ذكره في كتابه ، حتى قيل: ماكتابُ سيبويه إلا دروسُ الخليل،قال النَّديم: "قرأت بخط أبي العباس ثعلب اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنساناً منهم سيبويه ، والأصول والمسائل للخليل" ، ويروي القفطيُّ أنَّه أخذ عن عيسى بن عمر ، وضَّمن كتابه (الجامع) في الكتاب مع كلام الخليل ، وأخذ عن يونس بن حبيب ، وأبي الخطَّاب الأخفش الأكبر ، ومهما تكن تلك الروايات فإنَّها تبقى مجرد ظنون لاتصل إلى حد القطع ، ومايعرف يقينا أنَّه ما اشتهر إنسانٌ على ظهر البسيطة بالنَّحو شهرة سيبويه ، وما أُلِّف كتابٌ ككتابه ، ولايُعرف في الدُّنيا كتابٌ

غفل عن عنوان إلا كتاب سيبويه لشهرته وشهرة صاحبه ، فإذا قيل: الكتابُ ، انصرفت الأذهانُ إلى كتاب سيبويه ، يقول السِّيرافى:"وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النَّحويين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب فيعلم أنّه كتابُ سيبويه".

وكان المبرِّد إذا أراد طالبٌ أن يقرأ عليه كتابَ سيبويه يقول له :"هل ركبتَ البحرَ؟ استعظاماً به ، واستصعابه بما فيه". وقال المازنيُّ : "من أراد أن يعمل كتاباً في النَّحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ" .

ويقول الجَّرمي :" أنا مذ ثلاثون أفتي النَّاس في الفقه من كتاب سيبويه". لعلمه بتوقف العلوم الشَّرعية على المسائل النَّحوية ، وقد مرَّ قول نجم الدِّين الطوفيِّ إنَّ ثلث الفقه مبنيٌّ على العربيَّة.

ومما قاله فيه جار الله الزَّمخشريُّ :-

ألا صلَّى الإلهُ صلاة صدقٍ　　على عمرو بن عثمان بن قَنْبر

فــإنَّ كتــابه لم يغــن عنه　　بنو قلــم ولا أبنــاء منــبر

وكان سيبويه في بدء أمره طالباً للفقه والحديث ، ثم حدث أنّه لحَــن في مجلس

الإمام حمَّاد بن سَلَمة المحدِّثُ المشهور ، قال نصر بن علي : " كان سيبويه يستملي من حمَّاد ابن سلمة يوماً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿ ماأحد من أصحابي إلا وقد أخذتُ عليه ليس أبا الدرداء ﴾فقال سيبويه:ليس (أبو الدرداء) فقال: لحنتَ يا سيبويه فقال سيبويه : لاجرم لأطلــبنَّ علماً لاتلحني فيه أبداً ، فطلب النَّحو ، ولم يزل يلازم الخليل" .

وأمَّا أشهر أصحابه الَّذين أخذوا عنه فهما الإمامان : أبوالحسن الأخفش الأوسط وقطرب، وكان قطرب كثيرَ الأخذ عنه ، فيُروى أنَّه سُمِّي قطرباً ؛ لأنَّ سيبويه كان يخرج بالأسحار فيراه على بابه ، فيقول: إنَّما أنت قطربُ ليلٍ .

توفي سيبويه بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة ثمانين ومائة ، وقيل غير ذلك ، وعمره نيف وأربعون سنة ، وقيل ثنتان وثلاثون سنة ، وقيل خمسون سنة بعد المناظرة التي جرت بينه وبين الكسائي ، وسيأتي ذكرها لاحقاً رحمه الله رحمة واسعة وجزاء خيراً عن أمَّة القرآن

وقد تضمَّن البيتُ أيضاً أحدَ أشهر أعلام النَّحو واللغة ، وهو أستاذُ اللغة ، ومبتكرُ علم العروض ، و سيِّدُ أهل الأدب ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصريّ

الأزديّ قال عنه أبو البركات الأنباري: "سيِّد أهل الأدب قاطبةً في علمه وزهده ، والغاية في تصحيح القياس ، واستخراج مسائل النَّحو وتعليلِهِ ، وكان من تلامذة أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيبويه ، وعامَّة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل" .

وقد عُدَّت آراؤه في الكتاب فإذا هي في نحو ثلاثمائة وسبعين موضعاً ، ولهذا قلت: (قد استقى من منهل الخليل) ، وقال أبوالبركات أيضاً :"وهو أوَّلُ من استخرج علمَ العروض ، وضبط اللغة ، وأملى كتاب العين على الليث بن المظفّر ، وكان أوَّل من حصر أشعار العرب".

أمَّا الذين أخذوا عنه فهم سادةُ الدنيا في العربيَّة ،ومنهم سيبويه ، والنَّضر بن شُمَيل وهارون بن موسى النَّحوي ، ووهب بن جرير ، والكسائي.

وكان من زهَّاد الدُّنيا وصالحيها ، قال سفيان بن عيينة: "من أحبَّ أن ينظر إلى رجلٍ خُلق من الذَّهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد ". ، وقال ابن مسعر :"ولم يختلف في زهده"

وسبب ابتكاره علم العروض دعاؤه إلى الله متعلقا بأستار الكعبة قائلا: "اللهم هبْ لي علما لم يسبقني إليه أحدٌ " فوهب اللهُ له علمَ العروض.

ومن مصنفاته: معجمُ العين ، وقد حاول بعضهم التشكيك فى نسبته إليه. وقال القفطيّ: "التحقيقُ أن الخليل صنَّفه"، ويُنسب إليه المنظومةُ النَّحوية ، وقد حقَّقها أحمد عفيفي ، والمُحلّى فى وجوه النصب ، وهو لابن شقير ، وكتاب العروض، وكتاب الشواهد ، وكتاب النقط والشكل ، وكتاب النغم أو الألحان نسبه إليه الجاحظ.

توفى سنة خمس وسبعين ومائة ، وقيل سنة سبعين ومائة.رحمة الله رحمة واسعة.

مدرسة البصرة

ثم قلت مبتدئا الحديث عن أعلام البصرة :

في بصرة العلوم بان حدُّه ففاز أهلها وراق شهدُه

اعلم أنَّه قد نالت البصرة شرف وضع علم النَّحو وتعهده قبل الكوفة الَّتي كانت منشغلةً بالفقه ورواية الأخبار والأشعار ، يقول ابن سلَّام:"وكان لأهل البصرة فى العربية قِدمةٌ ، وبالنَّحو ولغات العرب والغريب عنايةٌ".

ويقول صاحب الفهرست فى سبب تقديم نحاة البصرة على نحاة الكوفة : " إنما قدَّمنا البصريين أوَّلا ؛ لأنَّ علم العربيَّة عنهم أُخذ" ولا أميلُ إلى رأي الدُّكتور شوقي ضيف – رحمه الله – فى بيانه علّة تقدُّم نحاة البصرة على الكوفة فى درس مسائله: "إنَّ عقل البصرة كان أدقَّ وأعمق من عقل الكوفة ، وكان أكثر استعداداً لوضع العلوم ، إذ سبقتها إلى الاتِّصال بالثّقافات الأجنبيَّة وبالفكر اليوناني".

إنَّ الكوفة لو كانت مثل ما وصف شوقي ضيف لما استطاعت أن تضاهي المدرسة البصريَّة فى فترة وجيزة جداً ، وأعتقدُ أن السَّبب الحق هو أنَّ من أخذ عن الإمام عليّ وهو أبو الأسود الدولي وتلامذته استوطنوا البصرة ، أمَّا احتجاجه بأن مدرسة الكوفة

الكوفة لم تكن مهتمةً بالتأصيل والقياس يلحظ ذلك من مذهب أبي حنيفة الذي ينقصه التعميم والتعريف، ووضع القواعد الكلية أقول: معلومٌ لدى دارسي الفقه وأصوله أنّ مبنى الأصول الفقهية عند الأحناف مبنيٌّ على الفروع ، فشتّان بين قولنا منهجٌ هو كذا، وبين قولنا عقلية أعمق ، وعقلية أدق .. إلخ .

ثمّ رأيتُ أن شوقي ضيف- رحمه الله - يميل إلى ترجيح تأثُّر وضع النَّحو العربيّ للجوار ؛ وذلك لوجود صلات أكيدةٍ بينه وبين نحو أممٍ أخرى ، بل نجدُه لا يميل إلى وضع الإمام عليٍّ لعلم النَّحو ، ويرجعُه إلى أبي الأسود ، فينقل عن السِّيرافي والزُّبيدي ، ولا يذكر ما ذكره القفطيُّ فى قوله : إنَّ جمهور أهل الرِّواية على أنَّ علياً هو من وضع النَّحو ، وإن كانت هناك روايات أخرى فتوجه وفق الرواية الصحيحة ، أو تطرحُ ، وهل يُستغرب من عقل عليّ -كرّم الله وجهه- وضعه النَّحو ، ذلك العقل الَّذي شهد له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقوله "لولا عليٌّ لهلك عمرُ".

إنَّ الَّذي تطمئنُ إليه نفسي أنَّ البصريين سبقوا ؛ لأنَّ من تلقَّوا عن عليٍّ هذا الأمرَ كانوا بصريين ، فكــــان لهم فضلُ السَّبق ، وحصـــر اللغات ، وتقنين القواعد ، بينما اهتمت الكوفةُ بالأشعار والفقة ، وإلى يومنا هذا نجد مدنا معينة مقدَّمةً على غيرها فى

فنٌّ من الفنون لاهتمامها بذلك الفن ،لا أن عقليتها أفضلُ من غيرها ،ومثال ذلك أن ليبيا هي اليوم ليست كبقيَّة الدُّول فى شيوع حفظ القرآن بين أبنائها ، فهل يقال: إن العقليَّة الليبيّة أدقُّ وتفوق بقيَّة بلاد المسلمين!وإن قيل فهو عبثٌ من القول ، فشتّان بين قولنا : العقلية ، وقولنا : العناية.

وما نخلص إليه يقيناً أنَّ البصرة هي من حظيت بشرف نشأة النَّحو بين أهلها ، فخرج منها علماءُ فضلاءُ ، شدُّوا الرِّحال طلبا للسَّماع من البدو الذين سلمت لغتُهم ، وحُفظت سليقتهم ، فدوَّنوا المسموع ، وقعَّدوا المجموع.

وبعد بيان أنّ البصرة هي موطنُ نشأة النحو بدأتُ فى ذكر بعض نحاتها فقلت:

النضر وحمّادُ واليزيدي نصرٌ أبو زيدٍ أبو سعيد

الأصمعيْ التوَّزيْ والجرميْ وابنِ الفرجْ رياشها والحضرمي

والأخفشُ الإمامُ والمبردُ عنبسةُ ويونس الممجد

والمازنيْ عيسى كذا العلاءُ مقْرَأَةٌ فى صرحها ضياءُ

هؤلاء نفرٌ من أئمة مذهب البصرة ، وقد سبق ذكرهم ترجمةُ سيبويه والخليل فهما بصريان ، ولا يريد النَّظم حصرَهم ، بل التعريفَ ببعضهم .

وأولهم النَّضرُ بن شُمَيل بن خَرَشة بن يزيد من كُلثوم التميميّ من خرسان قال القفطي:"كان عالما بفنون من العلم ، صدوقا ثقةً ، صاحبَ غريبٍ ، وشعر ، وفقه ، ومعرفةٍ بأيَّام النَّاس ، ورواية الحديث ، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد ". وقال ابن خِلّكان فى ترجمته :"التَّميميّ المازنيّ البصريّ " ، ونقل من أخباره قال: "كنتُ أدخل على المأمون فى سَمره فدخلت ذات ليلة وعليَّ ثوبٌ مرقوعٌ ، فقال : يانضر ، ما هذا التقشّفُ حتى تدخلَ على أمير المؤمنين فى هذه الخُلْقَان ؟ (ضبطه من الصِّحاح) قلت يأمير المؤمنين : أنا شيخٌ ضعيفٌ ، وحرُّ مرو شديدٌ ، فأتبرَّد بهذه الخُلْقان ، قال: لا ، ولكنَّك قَشِفٌ (الضَّبْط من الصِّحاح) ، ثم أجرينا الحديث ، فأجرى هو ذكرَ النِّساء فقال:حدثنا هشام عن مجالد،عن الشَّعبي ، عن ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إذا تزوَّج الرجل المرأة لدينها ، وجمالها، كان فيه سَداد من عوَز ، فأورده بفتح السين ، قال: فقلت :صدق يا أمير المؤمنين هشيم ، حدَّثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب -رضوان الله عليه- قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم -:﴿ إذا تزوج الرجل المرأة لدينها ، وجمالها ، كان فيه سِداد من عوز﴾ قال : وكان المأمون متكئا ، فاستوى جالسا ، وقال: يانضر،

كيف قلت سِداد ؟ قلت : لأنَّ السَّداد هنا لحنٌ، قال: أو تلحنني ؟ قلتُ إنَّما لحَن هشيم، وكان لحَّانةً، فتبع أميرُ المؤمنين لفظَه ، قال: فما الفرقُ بينهما ؟ قلت :السَّداد بالفتح : القصدُ فى الدِّين والسبيل ، والسِداد بالكسر: البُلغة ، وكل ماسددت به شيئا فهو سِداد، قال : أو تعرف العربُ ذلك ؟ قلت: نعم هذا العرجيُّ يقول :

أضاعوني وأيُّ فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون: قبَّح اللهُ من لا أدبَ له ، وأطرق مليًّا ثم قال: مالك يا نضر؟ قلت : أُريضة لي بمرو ، أتصابيها وأتمززها ؟ قال : أفلا نفيدك مالا معها ؟ قلت : إنِّي إلى ذلك لمحتاجٌ قال: فأخذ القرطاسَ ، وأنا لا أدري ما يكتب ، ثم قال: كيف تقول إذا أمرت أن يترب ؟ قلت: أترِبْه، قال: فهو ماذا؟ قلت : فهو مُترَب، قال : فمن الطين ؟ قلتُ: طِنْه ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : مَطِين قال : هذه أحسنُ من الأولى ، ثم قال : ياغلام أتربه وطِنْه ، ثم صلَّى بنا العشاءَ ، وقال لخادمه " تبلغه معه إلى الفضل بن سهل قال : فلما قرأ الفضلُ الكتابَ ، قال : يانضر إنَّ أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم ، فما كان السبب فيه ؟ فأخبرته ، ولم أكذبْهُ ، فقال : لحَّنتَ أميرَ المؤمنين ؟ فقلت: كلا إنَّما لحَن هشيم ، وكان لحَّانةً ، فتبع أمير المؤمنين لفظَه ، وقــد تُتْبع ألفاظ

الفقهـــاء ورواة الأثار ، ثم أمر لي بثلاثين ألـــف درهم فأخذتُ ثمانين ألف درهم بحـــرف أُستفيد منِّي".

وقد ذكر له العلماءُ كتبا كثيرةً منها: كتاب الصفات ، قال اليمانيُّ :" وهو كبيرٌ " وكتاب خلق الفرس ، وكتاب الأنواء ، وكتاب المعاني ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب المصادر ، وكتاب المدخل إلى كتاب العين للخليل بن أحمد.

توفي -رحمه الله- سنة اربع ومائتين.

ثم جاء بعده فى النظم **(حمَّاد)** ، وهو حمّادُ بن سَلَمة ، قال أبو سعيد السِّيرافي:" لا أعلمُ فى البصريين من ذُكِر عنه شيءٌ من النَّحو واسمه حمَّاد إلا حمَّاد بن سلمة ".

وقال الفيروزآبادي:" كان يمرُّ بالحسن البصريّ في المسجد فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربيَّة ليتعلَّم منهم".وهذا نصٌ يشير إلى قِدم حِلق العربيَّة فانتبه .

قال المقريء في كتابه أخبار النحويين قال حمّاد:"من لحَن فليس يُحدِّثُ عنِّي"

وهو شيخ سيبويه فى بدء أمره كما مرَّ فى ترجمته ، وشيخ يونس بن حبيب وسيأتي ذكره ، يقول يونس بن حبيب :"وكان حمَّاد رأسَ حلقتنا ، ومنه تعلَّمت العربيَّة". ومما يُنسب إليه :"مثلُ الذي يطلب الحديثَ ، ولا يعرف النَّحو مثلُ الحمار

عليه مخلاةٌ لا شعير فيها " ويُروى أن سيبويه سأله فقال : أحدَّثك هشام بن عروة عن

أبيه في رجل رُعِف في الصلاة ؟ فقال: أخطأت ياسيبويه ، إنَّما هو رَعَفَ ، فانصرف

سيبويه إلى الخليل شاكيا ما لقيه به حمَّاد ، فقال: صدق حمادُ ، أمثله يُلقى بمثل هذا ؟.

أقولُ : إنَّ الذي في القاموس يجيز ما ذكره سيبويه ، ولعلَّ حمّادا لم يسمعه ، أو أنَّه

ليس اللغة العالية فتأمّل.

وقال الجرميُّ : "ما رأيت فقيها قطُّ أفصحَ من عبد الوارث ، وكان حمَّادُ بن سلمة

أفصحَ منه" ، وقال اليزيدي في قصيدة يمدح فيها نحوي البصرة :

ياطالب النَّحو ألا فا بكه   بعد أبي عمرو وحماد

يعني أباعمرو بن العلاء ، وحمَّاد بن سلمة .

توفي حمَّاد -رحمهُ الله- سنة سبع وستين ومائة في خلافة المهدي.

ثم قلت:(**واليزيدي**) ، وهو أبومحمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، أخذ عن الإمام أبي

عمرو بن العلاء ، وعن ابن جريج ، روى عنه جماعةٌ من العلماء ، وهم أبوشعيب

السُّوسي، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبوعمرو الدُّوري،قال القفطيُّ: "وكان

اليزيديُّ ثقةً ، وكان أحد القرَّاء الفصحاء، عالماً بلغات العرب ... وكان قد أخذ علم

العربيَّة وأخبار الناس عن أبي عمرو ، وابن أبي إسحاق الحضرمي، والخليل بن أحمد ومن كان معهم فى زمانهم .... وأخذ عن الخليل من اللغة أمرا عظيما ، وكتب عنه العروضَ فى ابتداء صنعته إيَّاه ، إلا أنَّ اعتماده كان على أبي عمرو ، لسعة علم أبي عمرو باللغة ، وطبقته فى النَّحو دون طبقة الخليل ودون سيبويه والأخفش ، وكان بصريَّ المذهب والبلد ، متعصِّبا للبصريين ، وله قصيدةٌ فى مدح البصرة وأهلها ، وذمٌّ الكسائيَّ وأتباعه" وكان من القرَّاء الفصحاء ، ويقول القفطي أيضا : "وكان يجلس فى أيام الرَّشيد مع الكسائيِّ فى مجلس واحد ويُقرئان النَّاس " ، وهذا يدلُّ على أنه لم يبغُض الكسائيَّ كما قال السِّيرافي والقفطيُّ ، بل إنَّ السِّيرافي نفسهُ نقل شعرا فى رثائه الإمام الكسائيَّ ومحمد ابن حسن الشيبانيّ وهو قوله:

وأقلقني موت الكسائي بعده ... وكادت بي الأرض الفضاء تميد

فأذهلني عن كل عيشٍ ولذة ... وأرَّق عيني والعيــون هـــجود

همـــا عالمـــان أوديا وتخـــرما ... وما لهـــما في العالمـــين نـــديد

توفي ـــ رحمهُ الله ـــ سنة اثنتين ومائتين فى خلافة المأمون.

ثم قلت:(**نصر**) وهو نصر بن عاصم بن أبي سعيد الليثي ، وقيل: الدولي ، قال القفطي: " أول العلماء في علم النحو ، قال بعض الرواة : إنّ نصر بن عاصم أوّل من وضع النّحو وسبّبه ، وهو أوّل من أخذه عن أبي الأسود الدؤلي ، وفتق فيه القياس، وكان أنبل الجماعة الّذين أخذوا عن أبي الأسود فنسب أوله إليه ، وكان من التّابعين". وقال السِّيرافي "ورُوي عن عمرو بن دينار ، قال : اجتمعت أنا والزُّهري ونصر بن عاصم ، فتكلّم نصرُ ، فقال الزُّهريُّ :إنّه ليفلق العربيّة تفليقا " ، ويقال إنّه أوّل من نقط المصاحف وخمّسها ، أخذ عنه عبدالله بن إسحاق الحضرميّ ، وأبو عمرو بن العلاء.

توفي بالبصرة سنة تسع وثمانين وقيل سنة تسعين.

ثم قلت (**أبوزيد**) ، وهو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد الأنصاري ، قال ابن خلكان : "حدث أبوعثمان المازني قال رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقة أبي زيد فقبّل رأسَه ، وجلس بين يديه ،وقال: أنت رئيسُنا،وسيدُنا منذ خمسين سنة".

أخذ أبوزيد عن علماء عصر من الكوفيين والبصرين في ذروة التنافس بين الكوفة والبصرة ، قال السيرافي:" ولا نعلم أحدا من علماء البصريين بالنّحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئا من علم العرب إلا أبو زيد فإنه روى عن المفضل الضبي".

وهو من القرَّاء روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء.

وقال القفطي:"وكان أبو زيد من أهل العدل والتشيع ، وكان ثقةً ، وكان عالما بالنَّحو،ولم يكن مثل سيبويه والخليل ، وكان يونس أعلم منه بالنَّحو ، وكان مثله فى اللغات ، وكان أبوزيد أعلمَ من الأصمعيّ وأبي عبيدة بالنَّحو ، وكان يقال له:أبو زيد النَّحويّ ، وله كتابٌ فى تخفيف الهمز على مذهب النَّحويين ، وفي كتبه المصنَّفة فى اللغة وشواهد النَّحو عن العرب ما ليس لغيره".

توفي أبو زيد سنة أربع وعشرين ومائتين بالبصرة ، وقال اليماني :"توفي سنة خمس عشر ومائتين ، وعمرهُ أربعةٌ وتسعون عاما".

ثم قلت في تمام البيت : (أبو سعيد) ، وهو أبو سليمان أو أبو سعيد ، يحيى بن يَعمَر العدواني ، الوشقي ، النّحوي ، البصري ، قال القفطيُّ:"وهو أحد قرَّاء البصرة ، وعنه أخذ ابن أبي إسحاق القراءة ، وولي القضاء بمرو ، وكان عالما بالقرآن والنَّحو ولغات العرب" ويقول السِّيرافي: "ويقال إنَّ أبا الأسود لما وضع باب الفاعل والمفعول زاد فى ذلك الكتاب رجلٌ من بني ليث أبوابا ، ثم نظر فإذا فى كلام العرب مالا يدخل فيه ، فأقصر عنه ، فيمكن أن يكون الرجل الَّذي من بني ليث يحيى بن يعمَر إذ كان

عداده فى بني ليث"، ويقول ابن : خلكان :"وقال خالد الحذّاء: كان لابن سيرين مصحفٌ منقوطٌ ، نقطة يحيى بن يعمَر ، وكان ينطق بالعربيَّة المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف ، وأخباره ونوادره كثيرة" ،ولابن مسعر خلافه قال :" له كلامٌ محفوظ ينسبُ فيه إلى التقعّر"

توفي سنة تسع وعشرين ومائة -رحمه الله تعالى-.

ثم قلت فى البيت الآخر متابعا ذكر نحاة البصرة (**الأصمعي**) ، واسمه عبدالملك بن قُريب بن عبدالملك بن علي بن أَصْمع قال ابن خلكان : " كان الأصمعي المذكور صاحب لغة ونحو ، وإماما فى الأخبار والنَّوادر والملح والغرائب ، أخذ عنه القاسم بن سلّام ، وأبو حاتم السجستاني ، وأبو الفضل الرياشي ، وأحمد بن محمد اليزيدي، وغيرهم.

قال ابن مسعر:"وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر".

ذكر له النَّديم أكثر من أربعين كتابا فى اللغة ومن أشهر كتبه : الاشتقاق ، والأضداد ، وأصول الكلام ، وغريب القرأن ، وخلق الإنسان ، واللغات ، والأجناس ، والأنواء ، والخيل ، والإبل ، والوحوش ، والأراجيز .

قال المبرِّد:"كان الأصمعيُّ أسد الشعر ، والغريب ، والمعاني ، وكان أبو عبيدة كذلك ويفضُل على الأصمعي بعلم النسب ، وكان الأصمعيُّ أعلم منه بالنحو.

توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وقيل غير ذلك ، رحمه الله تعالى ، وقد عاش إحدى وتسعين سنة .

ثم جاء ذكر (التوَّزي) بتشديد الواو ، واسمه عبدالله بن محمد بن هارون التَّوَّزي القرشي ، مولى لقريش قال السِّيرافي : "وقرأ التوَّزي كتاب سيبويه على أبي عمر الجرميّ ، قال أبوالعبَّاس: وما رأيت أحدا أعلم بالشِّعر من أبي محمد التوَّزي ، كان أعلمَ من الرّياشي والمازنيّ ، وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة ، وقد قرأ على الأصمعي وغيره".

أمَّا مصنفاته فقد قال القفطيُّ :" فمن تصانيفة كتاب الأمثال ، كتاب الأضداد ، كتاب الخيل وأسنالها وعيوبها وإضمارها، ومن نسب إلى فرس وسبقها ، كتاب فعلت وأفعلت ، كتاب النَّوادر.

توفي عام ثلاثين ومائتين – رحمه الله تعالى –

ثم قلت :(والجرميّ) ،وهو أبو عمر صالح بن إسحاق الجرميّ قال السِّيرافي:"وأخذ أبو عمر النّحو عن الأخفش وغيره ، وقرأ كتاب سيبوبه على الأخفش ، ولقي يونس

بن حبيب ، ولم يلق سيبويه ، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة ، وأبي زيد ، والأصمعيّ ، وطبقتهم "وقال ابن خلّكان:"وكان عالما باللغة ، حافظا لها ، وله كتبٌ انفرد بها ، وكان جليلا في الحديث والأخبار".

وذكر أصحاب التراجم أنّ الجرميَّ كان يفتي النّاس من كتاب سيبويه ، وهذا غير مستغربٍ فاللغةُ وسيلة الفقه.

وقد ذكروا له من المؤلفات كتاب الفرخ معناه: فرخ كتاب سيبويه ، وكتاب الأبنية ، وكتاب العَروض ، ومختصر في النَّحو سماه مختصر نحو المتعلّمين ، وكتاب غريب سيبويه ، وكتاب في السير .

و يروون أنه قد ناظر الفرَّاء إمام الكوفة ببغداد، وغلبه.

توفي سنة خمسة وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى.

ثم قلت:(وأبو الفرج رياشها) أي : من علماء البصرة النُّحاة اللغويين كذلك الرّياشي ، وهو أبو الفضل عبَّاس بن الفرج الرّياشي قال ابن خلكان : "كان عالما، راوية ، ثقة ، عارفا بأيام العرب ، كثير الإطلاع روى عن الأصمعيّ وأبي عبيدة مَعْمر بن المثنّى وغيرهما " وقال القفطيُّ : "وكان من أهل الأدب ، و من علم النَّحو بمحل

عال ، وكان يحفظ كتب أبي زيد والأصمعيّ كلها ، وقرأ على أبي عثمان المازني كتاب سيبويه ، وكان المازنيُّ يقول : قرأ عليَّ الرّياشي الكتاب وهو أعلم به منِّي ، وقدم بغداد وحدَّث بها ، وكان ثقةً ، وذكروا له من الكتب كتاب الخيل ، وكتاب الإبل ، وكتاب ما اختلفت أسماؤه من لغة العرب".

أقول : وكفاه شرفاً أنّه شيخ المبرِّد ، وأبي بكر بن دريد ، وأحمد بن يحيى ثعلب ، وأبي بكر بن أبي الدُّنيا.

توفي الرّياشي سنة سبع وخمسين ومائتين بالبصرة مقتولا بمسجده ، قتله الزّنج فى ثورتهم في عهد العباسيين ، ووجد بعد سنوات وما تغير جسدُه – رحمه الله تعالى –.

ثم قلت :**(والحضرمي)** وهو عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي ، أخذ القراءة عن يحيى ابن يعمر ، ونصر بن عاصم ، وسئل عنه يونس بن حبيب فقال :"هو والنَّحو سواء، أي هو الغاية ، وقيل: فأين علمُه من علم النَّاس اليوم؟ قال: لو كان اليوم فى النَّاس أحدٌ لا يعلم الا علمه لضحك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنُه ونفاذُه ونظرُه كان أعلم النّاس"

ويروى أنه أوَّل من بجّع النَّحو ، أي : فتقه وصنع القياس النّـــحوي ، وتحدَّث عن العلل ، وهذه أبوابٌ عظيمةٌ تبين شرف مترلته ، وعلوَّ قدره ، وقـــد جعله بعض الكتبة

المعاصرين الأستاذ الأول للمدرسة البصرية.

وقد عُرف بكثرة نقده لشعر الفرزدق، فهجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكنَّ عبد الله مولى مواليا

توفى الحضرمي -رحمه الله- سنة سبع عشرة ومائة.

ثم قلت:

الأخفش الإمام والمبرد عنبسة ويونس الممجد

والأخافشةُ كثيرون ، أشهرهم ثلاثةٌ الأخفشُ الأكبر ، واسمه أبو الخطّاب عبد الحميد بن عبدالمجيد ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وهو من نحاة البصرة ، والثاني الأخفش الأوسط وهو بصريٌّ أيضا ، وهو أشهر الأخافشة ، وهوالمقصود فى النَّظم ، والأخفش الصغير واسمه أبو الحسن عليُّ بن سليمان ، وهو ممن خلط بين المذهبين البصرة والكوفة ، والمعنيُّ فى النَّظم الأوسطُ ، واسمه أبوالحسن سعيد بن مَسْعَدة المجاشعيّ **فإن قال قائل:** لم خُصّص بالذّكر دون ذكر الأكبر ؟ أجيب لأنّه الأشهرُ ذكراً فى النّحو، **فلذا ينصرف** الحديثُ إليه عند ذكر اسم الأخفش مجرداً من الوصف فى كتب النَّحو.

تلقى الأخفش عن سيبويه وكان أكبر سنًّا منه ، وهو الذي روى كتابه ولا راوي

له غيره قال القفطي: "والأخفش أحذق أصحاب سيبويه ، وهو أسنُّ منه ، ولقي من لقيه من العلماء الا الخليل ، والطّريق إلى كتاب سيبويه(الأخفش) وذلك أنّ كتاب سيبويه لا يُعلم أحدٌ قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه ، ولكنّه لما مات قُريء على الأخفش ، فشرحه ، وبيَّنه ، ولم يكن أيضا ناقصا فى اللغة ، وله كتبٌ مستحسنةٌ"

ويقول السِّيرافي:"وكان أبو العبَّاس ثعلب يفضِّل الأخفش ، ويقول : كان أوسع النَّاس علما ، وله كتبٌ كثيرةٌ فى النَّحو والعَروض و القوافي" .

نال الأخفشُ شهرةً واسعةً بين العلماء ، واختاره الإمام الكسائي مؤدِّباً لأولاده وطلب منه تأليف كتابه المشهور معاني القرآن ، وقد عُدَّ له من الكتب ستة عشر كتابا ، و يقال هو الّذي زاد فى العروض بحر الخبب ، وقيل الخليلُ عرفه ، ولكنّه أهمله.

توفي -رحمه الله- سنة خمس عشرة ومائتين رحمه الله تعالى

ثم قلت:**(والمبرِّد)**وهو : محمَّد بن يزيد بن عبد الأكبر المشهور بالمبرد بكسر الراء وفتحها ، وفيه خلاف شديد حتّى قال الشنقيطيُّ :

والكسر في راء المبرد واجب وبغيرها ينطق الجهلاء

قال المؤرِّخُ القفطيّ : " وكان أبو العِبّاس محمد بن يزيد من العلمِ ، وغزارةِ الأدبِ

وكثرةِ الحفظِ ، وحسنِ الإشارة ، وفصاحةِ اللسان ، وبراعةِ البيان ، وملوكية المجالسة ، وكرم العشرة ، وبلاغة المكاتبة ، وحلاوة المخاطبة ، وجودة الخطّ ، وصحّة القريحة ، وقرب الأفهام ، ووضـــوح الشّرح ، وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممَّن تقدَّمه أو تأخَّر عنه".

تلقّى أبوالعبَّاس المبِّرد النَّحو عن الإمامين الجرميّ ، والمازنيّ ، وهما من انتهى إليهما علم البصريين بالنَّحو ، ثمَّ صار بعدهما إمامَ مدرسة البصرة ، وناظر أحمد بن يحيى ثعلب إمام الكوفة ، وإلى هذينِ رجع علمُ النَّحو والأدب فى عصرهما ، ولذا قال فيهما ابنُ أبي الأزهر:-

أيا طالب العلم لا تجهــلن   وعذ بالمبــرد أو ثعلــب

تجد عند هذين علم الورى   فلاتك كالجمل الأجرب

علــوم الخلائق مقــرونة   بهذين فى الشرق والمغرب

وقد أخذ عن المبرّد كثيرٌ من الأدباء منهم ابنُ كيسان ، وابنُ ولّاد ، والصــوليّ والوشّاء.

ومن مؤلفاته : الكامل ، قال عنه الفيروزآبادي:"ومن أمثال أهل المغرب : من لم

يقرأ الكامل فليس بكامل"، والفاضل ، وما اتَّفق لفظُه واختلف معناه من القرآن ، والرّوضة ،وشرح لاميَّة العرب ، والأزمنة ، والفتن والمحن ، والمقتضب ، وغيرها كثيرٌ.

وللشيخ عبد الخالق عضيمة كتاب وسمه بـ " أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية" جمع فيه كثيرا من أخباره وآرائه.

والدراسات الجامعية في آرائه كثيرة.

توفي سنة خمسة وثمانين ومائتين -رحمه الله تعالى- وقيل غير ذلك.

ثم قلت:(عنبسة)، وهو عَنبسةُ بن معْدان المَهْري ، قال صاحب الفهرست:"وهو من أبرع أصحاب أبي الأسود ، وممّن أخذ عنه ميمونُ الأقرن"، وقال الزمخشريُّ في كتابه ربيع الأبرار:" لُقّب بذلك ؛ لأنَّ معدان أباه كان يروِّض فيلاً للحجَّاج قلت : فينبغي أن يكونَ اللقبُ لأبيه لا لهُ".

وهذا لم أذكره في نظمي بهذا اللقب ، فاعرفه تُصب إن شاء الله .

قال القفطيُّ: "قال المبرِّد : اختلف النَّاس إلى أبي الأسود الدؤلي يتعلّمون منه العربيَّة فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهْري" .

ثم قلت : (ويونس الممجد) ، وأعني به يونس من حبيب النَّحويّ ، أخذ عن أبي

عمرو بن العلاء ، و حمّاد بن سلمة ، وروى عنه سيبويه في كتابه كثيراً.

وقد سمع منه الإمامان الكسائيُّ والفرّاءُ ، وعاش مائة سنة أو يزيد ، وقيل عاش ثمان وثمانين سنةً ، إلى خلافة العبّاسيُّ هارون الرشيد ، وكان له في النَّحو أقيسةٌ يتفرَّد بها ، ويقصد حلقتَه طلّابُ العلم ، وفصحاءُ الأعراب ، قال أبوزيد النَّحوي:"مارأيت أبذل لعلمٍ من يونس" ، ونقل الفيروزآبادي:" وقال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنه أملأُ كلَّ يومٍ ألواحي من حفظه " .

وذكروا أن له من الكتب : كتاب معاني القرآن ، وكتاب اللغات ، وكتاب النَّوادر الكبير ، وكتاب النَّوادر الصغير ، وكتاب الأمثال.

قال الفيروزآبادي :"عاش ثمانيا وثمانين سنة ولم يتزوج ولم يتسمّر، ولم يكن همُّه إلا طلب العلم".

ثم قلت :

والمازني عيسى كذا العلاء مقرأةٌ في صرحها ضياء

مبينا : أن هؤلاء العلماء الثلاثة كانوا قد جمعوا بين علمي العربيَّة و القراءات ، غير أنّ شهرة أبي عمرو بن العلاء ظهرت حتى صار من القرَّاء السبعة المعروفين.

والمازني هو بكر بن محمد بن بقيةٍّ ، وقيل: بن عديّ بن حبيب .

وهو أوَّل من دوَّن في علم التصريف ، وكفاه بذلك شرفاً ، قال المبرّد: "ولم يكنْ بعد سيبويه أعلمُ بالنَّحو منه.

روى عن أبي عبيدة ، والأصمعيّ ،وأبي زيد ، وروى عنه المبرّد وجماعةٌ ، وذكر أنّه كان مرجئاً.

ومن كلامه: "ما قِيس على كلام العرب فهومن كلامهم" هذا ما نقله السيوطي في مزهره ، وأقول : ويناقضُه ما حكاه ثعلبُ في أماليه :" قال أبو عثمان المازنيٌّ : قالت العرب . زهي الرجل ما أزهاه ، وشغل وما أشغله ، وجنّ وما أجنَّه ، هذا الضربُ شاذٌّ وإنَّما يحفظ حفظاً" ، قال القفطي:"وللمازنيّ من التصانيف: كتاب ما يلحن فيه العــامّة وكتاب الألف واللام ، وكتاب التّصريف ، وكتاب العَروض ، وكتاب القوافي وكتاب الدّيباج على خلاف كتاب أبي عبيدة " ، وذكر له ياقوت :كتابا في القرآن كبير وكتاب علل النّحو ، وكتاب تفاسير كتاب سيبويه ، وهو القائل: "من أرد أن يصنِّف كتاباً كبيراً في النَّحو بعد كتاب سيبويه فليستح" .

ومما ينقل عنه في القراءة قوله : سمعت أبا سِرار الغنويّ.يقرأ: "وإذا قتلتم نسَمةً فادَّرأتم فيها " فقلت له : إنَّما هي نفساً ، فقال: النسمة والنَّفس شيءٌ واحدٌ " هكذا في المُزهر للسيوطيِّ.

أخذ المازنيُّ القراءةَ عن يعقوب الحضرميٍّ أحد العشرة ، وشهد له بالتقدُّم.

توفي المازنيُّ سنة تسع وأربعين ومائتين ، وقيل: ثمان وأربعين ، وقيل سنـــة ثلاثين ومائتين – رحمه الله تعالى – .

وقد أشرتُ إلى أنَّ المازنيَّ ، وعيسى بن عمر ، وعمرو بن العلاء من القـــرَّاء وذلك بقولي (قرأة) جمع قاريء ؛ لأنَّ كتب التراجم قد أشارت إلى ذلك ، وشهرة أبي عمرو بن العلاء في القراءات معلـــومةٌ وكذا شهرة عيسى بن عمر ، إلّا أنّ معرفة المازنيّ بالقراءات لا يعلمها كثيرون فاحفظ ذلك.

أما (عيسى) فهو عيسى بن عمر الثقفيُّ ، وهو من طبقة أبي عمرو بن العلاء ومن الآخذين عنه ، وعنه أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وكنيتُه أبو سليمان ، ويقـــال أبوعمر قال الأنباريُّ :" كان ثقة عالماً بالعربية والنَّحو ، والقرآن" قيل : إنَّه ألَّف كتابين قد ضاعا وهما : الإكمال و الجامع ، وقد أُنشد فيهما ، وقيل: أنشدهما الخليلُ.

بطِل النَّحو جميعاً كـلُّه غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ وهما للنـّاس شمسٌ وقمـر

وذُكر أن له نيفاً وسبعين مؤلّفاً إلّا أنها ضاعت ، قال عنه صاحب المنتظم : " كان فاضلاً غايةً في النَّحو" ووصفه القفطيُّ بقوله : "وكان من قرَّاء أهل البصرة ونحاتها ، وكان عالماً أخذ عن أبي إسحاق ، وكان عيسى بن عمر في طبقة أبي عمرو بن العلاء، وعنه أخذ الخليل بن أحمد".وقال الفيروزآبادي :"وله اختياراتٌ على قياس العربيّة".

أما عن قراءته فقد وصفها أبو البركات الأنباريُّ بقوله:" وقراءته مشهورةٌ".

قال ياقوت : "ومات عيسى بن عمر سنة تسع وأربعين ومائة في خلافة المنصور قبل أبي عمرو بن العلا بخمس سنين أو ست". رحمه الله تعالى.

أما قولي(**العلاء**) فأعني به كما مَّر أبا عمرو بن العلاء ، قال السيوطيُّ: " اختلف في اسمه على واحد وعشرين قولاً ، أصحُّها زبَّان بزاي معجمة"، ثم ذكر بقيَّة الأسماء أُعرض عنها اختصارا ، وقيل إنّه لجلالته لم يُسأل عن اسمه ، قال الإمام الذهبيُّ: " هو أبو عمرو بن العلاء بن عمَّار التميميُّ ثم المازنيُّ البصريُّ ، شيخُ القرَّاء والعربيّة ، برز في الحروف ، وفي النَّحو وتصدَّر للإفادة مدَّة ، واشتهر بالفصاحة والصدق ، وسعه العلم ،

قال أبوعبيدة :كان أعلم النَّاس بالقراءات،والعربيّة ، والشعر ، وأيام العرب ، وكانت دفاتره ملء بيت على السقف ، ثم تنسّك فأحرقها ، وكان من أشراف العرب ، مدحه الفرزدقُ وغيرهُ ، قال يحيى بن معين: ثقةٌ ، وقال أبو حاتم ليس به بأسٌ ، وقال أبوعمرو الشّيباني: ما رأيت مثل (أبوعمرو) ". انتهى من سير أعلام النبلاء.

ولد بمكة سنة سبعين،وقيل: ثمان وستين ، ولا يعلم في القرَّاء السَّبعة أكثر شيوخاً منه ، وأشهُر من روى قراءته حفصٌ الدُّوري ، والسُّوسي.

ومن شيوخه في النَّحو: نصرُ بن عاصم ، وعبدُ الله بن إسحاق الحضرميّ. وتلامذته: يونسُ بن حبيب ، وعيسى بن عمر ، والخليلُ بن أحمد ، وأبوجعفر الرُّؤاسي والكسائيّ ، والأخيران إمامان من أئمّة النّحو الكوفيّ ،كما روى عنه في اللغة الأصمعيُّ وأبوعبيدة ، وأبو زيد الأنصاريُّ.

يُنسب له من الكتب: النّوادر ، والأمثال ، والوقف والابتداء ، والإدغام الكبير.

وقد خُصَّه كثيرون بمؤلفاتٍ ، وهذا يدلُّ على سَعة علمه وعظم أثره ، ويغنيه قولُ يونس بن حبيب: " لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كلّه في شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء كلّه في العربيَّة ، ولكـــن ليس من أحدٍ إلا وأنت آخذٌ

من قوله وتارك" ، وهو القائل:" أكثر من تزندق بالعـــراق لجهلهم بالعـــربية" .

توفي أبوعمرو بن العلاء سنه أربع وخمسين ومائة ، وعمره أربع وثمانون سنة في خلافة المنصور - رحمه الله تعالى-.

مدرسة الكوفة

ثم قلت في نحاة مذهب الكوفة بعد الإشارة إلى بعض نحاة البصرة .

ثانية المِصرين أعني الكوفـه ذات سناء بالحجا موصوفه

قد أخـــذت بمحكم القياس فأصبحت كشمخ الرواسي

تقرَّر أن النَّحو نشأ بالبصرة ، وعُقدت حلقاتُه وأبناؤها مشائخُه ، وكانت الكوفة يومئذ مشغولةً بعلمي الفقه والقراءة فرأى أهلُها سبق أهل البصرة في علم النَّحو ، فعمد نفرٌ منهم إلى حلقة الخليل ينهلون من علمه ، ويغترفون من بحره ، حتّى إذا أخذوا عن الخليل وغيره ما قنعوا به ، عمدوا إلى البادية منهل البصريين لينهلوا من فصاحة أهلها وبلاغه شعرائها.

وأقول لك يا طالب النَّحو اعلم ضرورة أنّه قد انفرد الكوفيون باستنباط منهجٍ جديدٍ للتقعيد يخالف ما عليه البصريون ، وهو اتِّساع رقعة المسموع ، وتجويز القياس على كل قول قالته العرب ولو كان قليلاً ، وبهذا صارت عندهم القواعدُ كثيرةً وهذا يخالف مسلك البصريين الذين لم يقيسوا إلّا على المطّرد الشّائع فقلّت عندهم القواعدُ ، وكَثُر الشاذُّ.

وبهذا البيان الموجز الذي قد يحتاج لتوضيح في غير هذا المختصر ، اتَّسم منهجُ البصريين بالمنهج التّعليمي المطّرد الذي يُسهِّل تعلُّم العربية ، واتّسم نهج الكوفيين بحفظ قواعد اللغة وكثرة المسموع غير أنَّ فيه صعوبةً على المتعلِّم ، وإن كان فيه فُسحةٌ على المتحدِّث ، واشتهر عنهم في هذا الباب قول الكسائي .

إنَّما النَّحو قياسٌ يتَّبع وبه في كل أمرٍ ينتفع

وقد كان بين نحاة الكوفة والبصرة من الخلاف والجدل ما ملئت به الكتب ، وهو من أسباب ازدهار الدَّرس النَّحويِّ ، فرأينا بعض العلماء يفرد كتباً للخلاف العلميّ بينهما مثل: كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ، والتَّبيين في الخلاف بين الكوفيين والبصريين للعُكبري ، وإئتلاف النُّصرة بين نحاة الكوفة والبصرة للشَّرَجي البغداديِّ، وغيرها كثير.

ومنشأ الخلاف يرجع إلى اختلاف منهج أهل البلدين في السَّماع عن العرب ، فلأهل البصرة أماكنُ لا يتجاوزنها للسَّماع ؛ لاعتقادهم اختلاطَ غير أصحاب تلك الأماكن التى حدَّدوها بالأعاجم وفساد ألسنتهم ، وتوسَّع الكوفيون في السَّماع ، فأجازوا سماع مالم يجزْه البصريون مع تحرٍ للفصاحة ، وتتبّع الشاهد ، وما خلافُ

الكسائيِّ مع سيبويه إلا دليلٌ واضحٌ على الخلاف حول مكان السماع ، فأجاز الكسائيُّ ما لم يجزه سيبويه - رحمه الله -، ولهذا قلت :

وأكثروا السمـــاع والرواية فسلموا من خطل الدراية

وشافهوا الأعراب في الفلاة وحصروا شوارد اللغات

ولا يعتقد السَّامع أن البصريين لم يستمعوا بل أكثروا من السَّماع ، ولكن كما أشرت سابقاً ، كان سماعهم في مواطنَ محددةٍ في جزيرة العرب ، على خلاف الكوفيين الذي كانوا أكثر سماعاً ؛ لأنَّهم اعتمدوا ما سمعه البصريون وزادوا عليه.

وبعد هذا التَّمهيد عن مدرسة أهل الكوفة بدأت بإمامها ، وأشهر أعلامها الإمام الكسائي - رحمه الله - فقلت :

إمامها عليٌّ ذو الكساء حبْرُ العلوم ظاهر البهاء.

وهو : أبو الحسن عليُّ بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الكسائيّ ، أحد الأئمّة الكبار في القراءة والنَّحو واللغة ، وكان قد قرأ لحمزة الزيات ، ثم اختار لنفسه قراءة.

تعلّم الكسائيُّ النَّحو على كبر- كما يقول الفرّاء - بعد أن لَحَن أمام بعض الفُصحاء فعاب عليه ذلك ، فخرج وتعلّم من معاذٍ الهرّاء الكوفيّ حتَّى إذا أتمَّ ما عنده خرج إلى

البصرة ، فأخذ عن الخليل ، ثمّ رحل إلى البادية ، وأخذ عن الأعراب ، وجلس إلى يونـــس بن حبيب وقدّمه ، وقال ابن مِسْعَر في تاريخ النّحويين : " أخذ علم النَّحو عن الرؤاسي" ، وذكر أنّ من مشائخه عيسى بن عمر ، وعمرو بن العلاء.

وسُمِّي الكسائيُّ ؛ لأنه أحرم في كساء ، والأكثرون على أنّ هذا هو السببُ في لقبه كذا في إشارة التعيين لليماني.

قال القفطيُّ – رحمه الله – : " قال الفرّاءُ قال لي قومٌ : ما اختلافك إلى الكسائيّ وأنت مثلُه في العلم ، فأعجبتني نفسي فناظرتُه ، وزدتُ ، فكأنّي كنتُ طائراً أشربُ من بحره".وقال القفطيُّ أيضاً : " قال أبو بكر الأنباريُّ : اجتمعتْ للكسائيِّ أمورٌ لم تجتمع لغيره ، فكان واحدَ النَّاس في القرآن يكثرون الأخذ عنه ، حتّى لا يُضبط الأخذُ عليه فيجمعهم ، ويجلس على كرسيٍّ ، ويتلو القرآنَ من أوَّلِهِ إلى آخِره – وهم يسمعون – حتّى كان بعضُهم ينقط المصاحفَ على قراءته ، وآخرون يتبعون مقاطعَه ومبادئه فيرسمونها في ألواحهم وكتبهم ، وكان من أعلم النَّاس بالنَّحو وواحدهم في الغريب".

ولقد حظـــي الإمامُ الكسائيُّ بمنزلةٍ عند المهديّ والرَّشيد ، وكان مؤدِّباً للرشيـــد

والأمين ، وكان ديِّناً فاضلاً ، ويكفي أنَّه أحدُ قرَّاء الأمَّة ، ولا تلتفت إلى من يطعنُ في دينه أوعلمه ، فإنَّما هو كلامُ الحَسَدة والأقران.

حدَّث الإمامُ الكسائيُّ - **وهو ثقةٌ** - أنّه رأى النَّبيَّ في منامه فسألهُ عن اسمه فقال : الكسائيُّ فقال : رسولُ الله :عليُّ بن حمزة ؟ قال: نعم يا رسولَ الله، قال : الّذي أقرأتَ أُمَّتي بالأمس القرآنَ ؟ قلتُ نعم يا رسولَ الله ، قال : فاقرأْ عليَّ ، قال الكسائيُّ : فلم يتأتَّ على لساني إلّا (والصَّافات) فقرأت عليه : ﴿والصَّافَّاتِ صَفّاً * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً * ﴾ فقال: أحسنتَ ، ولا تقل : (والصافات صفاً) نهاني عن الإدغام ، ثم قال لي : اقرأْ فقرأتُ حتى انتهيت إلى قوله تعالى :﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ فقالَ : أحسنتَ ولا تقل : (يُزفون) ثم قال : فلأباهيينَّ بك - شكَّ الكسائيُّ - القرَّاءَ أو الملائكةَ .

ولقد تحقّقت رؤيا الكسائيِّ ، ورؤيا الأنبياءُ حقٌّ ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: ﴿من رآني في المنام ، فقد رآني حقّاً ، والشيطانُ لا يتمثّل بي﴾ ، وقال في رواية صحيحةٍ أخرى ﴿من رآني في المنام فسيراني في اليقظة﴾ وقال: ﴿ذهبت النبوَّةُ، وبقيت المبشراتُ الصالحاتُ﴾ فسئل عن معنى ذلك فقـــال النبيُّ : - ﴿ الرؤيا الصَّالحة

يراها الرَّجلُ أو تُرى له﴾.

فاشتهر ذكرُه في الآفاق ، وأصبح أحدَ قُرَّاء الأمَّة ، ومن السَّبعة الموثوقين ، وإلى هذه الرؤيا أشرتُ بقولي:

رأى النَّبيَّ في المنام مرّه   بشَّــــره بالسَّـــبق والمســـرّه

فحقّقت بشارةُ الرَّسول   إذ حاز قصب السبق في الوصول

وبعد ذلك أشرتُ إلى ما حدث بين الإمامين الكسائيِّ وسيبويه ، ومقصدي التنبيه على **أمرين :**

الأول: الإشارةُ إلى فنِّ المناظرات النَّحوية ، حيث تعرض مسألة نحويّة أو صرفيّة بين علمين يمثّل كلٌّ منهم مدرسة ، ولعلَّ أشهر تلك المناظرات المناظرة التي جرت بين سيبويه والكسائي ، وقد أفرد لها السُّيوطيُّ باباً في كتابه الأشباه والنظائر ، وهي متناثرةٌ في كتب التراجم.

الثاني: عدم الأخذ بطعن بعض النُّحاة على الكسائي ، ومنه قولهم :إنه رشا الأعرابَ ؛ لتظهر حجَّته ، ويسطع برهانُه ، فهذه الطعونُ كلُّها مجروحةٌ ؛ لأنها من بصريين ، وسبقت الإشارة إلى أن الكسائيَّ من ثقات الأمة يقول الفرَّاء : "لقيت الكسائيَّ يوماً

فرأيته كالباكي ، فقلت له:ما يبكيك ؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يوجّه إليّ فيحضرني ، فيسألني عن الشيء ، فإن أبطأتُ في الجواب لحقني منه عتبٌ ، وإن بادرت لم آمن من الزّلل ، قال الفرّاء : فقلتُ له ممتحناً : يا أبا الحسن من يعترض عليك ، قل ما شئت فأنت الكسائيُّ ، فأخذ لسانَه بيده ، وقال: قطعه اللهُ إذا أنا قلتُ ما لا أعلم".

و إلى حقيقة الخلاف في هذه المناظرة أشرت بقولي :-

وهو الذي قد ناظر البصري   أي سيبويه الكوكب الدري

وناظر البصري بالتقريـــر   فيما أتى من مشكل الزنبور

واختــــلفا بحضرة الأعـــراب   فوفّق الكسائي للصواب

فلا تصـــغ لمن عليـــه يطعن   فعلمه بالمشكلات أمكن

وقوله قول الثقات الســـادة   كمالك في شرعة العبادة

وكلهم يســـعى لدرك الحقّ   لما عليه جُبلوا من صدق

أقول :إنّ سيبويه – رحمه الله –جاء إلى العراق ، وطلب أن يُجمع بينه وبين الكسائيّ ، فنُصح ألّا يناظره ، وقال النّاصح ، وهو علي بن يحيى البرمكي : لا تفعل فإنّه شيخُ مدينة السلام وقارئها ، ومؤدِّبُ ولد أمير المؤمنين ، وكلٌّ من في المِصْر له

ومعه ، فأبى إلا أن يُجمع بينهما ، فلمَّا أصرَّ على ذلك جُمع بينه وبين الكسائيِّ في دار الرشيد ، فابتدره الكسائيُّ بالسؤال، فقال: يا بصريُّ كيف تقول: خرجت وإذا زيد قائم ؟ قال:خرجت فإذا زيد **قائمٌ** ، قال: فيجوز أن تقول: خرجت فإذا زيدُ **قائماً**؟ قال سيبويه : لا ، قال الكسائي: فكيف تقول: قد كنت أظنُّ أن العقربَ أشدُّ لسعة من الزَّنبور ، فإذا هو هي ، أو فإذا هو إياها ، فقال سيبويه : فإذا هو هي ، ولا يجوز النَّصبُ ، فقال الكسائيُّ: لحَنْتَ، وخطَّأ الجميعُ سيبويه ، وقال الكسائيُّ : العربُ ترفع ذلك كلَّه وتنصبُه ، وردَّ سيبويه قولَ الكسائيِّ ، واحتدم الخلافُ ، فقال يحيى بن خالد: اختلفتُما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمن يحكمُ بينكما وهذا موضع مشكلٌ ؟ فقال الكسائيُّ : هذه العربُ ببابك قد جمعتَهم من كل أوب ، ووفدَتْ عليك من كل صقع ، وهم فصحاءُ النَّاس ، **وقد قنِع بهم أهلُ المصريين** ، وسمع أهلُ الكوفة والبصرة منهم ، فيحضرون ، ويُسألون، فتابع الأعرابُ قولَ الكسائيِّ ، فخرج سيبويه حزيناً إلى فارس ، ومات هناك – رحمه الله –.

وقد عُرفت هذه المسألةُ بالمسألة الزّنبوريّة ، واحتدم الخلافُ فيها بين نحاة المصرين بين مجيز ومانع ، وطُعن على الكسائي أنّه رشا العْرب ، وحاشاه ذلك ، فمن

حفظ حجَّةٌ على من لم يحفظ ،كما هو مقرَّر عند أهل العلم ، ولا يضير سيبويه ، وهو إمامُ العربيَّة الأول ، أنَّه ما سمع ذلك ، ولقد خُطِّئ الكسائيُّ في مناظرات عدة فما قدح ذلك في منزلته ، ولا حطَّ من شأنه.

وما أريده من هذا العرض أن هذه المسألة عرفت في كتب النَّحو بالمسألة الزنبورية وأنَّها من أوائل مسائل الخلاف في تاريخ النَّحو العربيِّ إن لم تكن الأولى تحقيقا ، وأنَّه لا ينبغي لطالب العلم الطَّعنُ في أئمة لغتنا المجمع على جلالتهم كالكسائيِّ ، وإن وجد في كتب التراجم شيءٌ ممَّا يحطُّ منزلتَه فمرجعُه إلى العصبية والمعاصرة ، ولهذا قلت :

فلا تصغ لمن عليه يطعن فعلمه بالمشـــكلات أمكن

وقوله قول الثقات السادة كمالك في شرعة العبادة

فمنزلة الكسائي – رحمه الله – في القراءات والنَّحو، كمنزلة الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة في الفقه رضي الله عنهما.

وبعد الكسائي ورث إمامةَ مدرسة الكوفة الإمامُ الفرَّاءُ ، ولذا قلتُ :

وقد أتى من بعد ذا الكسائي تلميذُه المعروف بالفراء

وهو الإمام الحجةُ يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظورالديلمي ، أبوزكرياء الفرَّاء ،

وهو وارثُ علم الكسائيِّ ، وأقربُ تلاميذه إليه ، كما لقي أبا جعفر الرؤاسي الآتي ذكرُه ، وهو من الطبقة الأولى من النَّحويين الكوفيين ، وعُهِد إليه بتأديب ابني المأمون ، قال عنه ثعلب: "لولا الفرَّاء ما كانت عربيةٌ ؛ لأنَّه خلَّصها وضبطها ، ولولا الفرَّاء لسقطت العربية ؛ لأنَّها كانت تُتنازع ، ويدَّعيها كلٌّ من أراد ، ويتكلَّم النَّاسُ فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب" ، وقال الفقيهُ الشَّيبانيُّ : "وما ظننتُ أدمياً يلِد مثلَك" ، وقيل: إنه سُمِّي بالفرَّاء ؛ لأنَّه كان يفري الكلامَ ، ويغلب الخصومَ ، ولقِّب بأمير المؤمنين في النَّحو ، وقد اتُّهم بالاعتزال ، وذكر صاحب رياض العلماء وتأسيس الشِّيعة أنهُ شيعيٌّ المذهبِ ، وفيه نظرٌ كما يقول ابن خِلّكان المؤرخ المشهور.

وهو صاحب الكلمة المشهورة : " أموتُ وفي نفسي شيءٌ من (حتّى) ؛ لأنَّها تخفض، وتنصب، وترفع".

وقد مدحه الإمام البغداديُّ فقال فيه : " وكان ثقة إماماً " ويكفي دليلاً على إمامته مصنَّفاتُه التي اشتهرت في الآفاق ، وإقبال النَّاس في عصره ومن بعده على هذه المؤلفات ، يقول الورَّاقان سلمة وأبونصر:" أردنا أن نعدَّ النَّاس اللذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني فلم يضبط، قالا: فعددنا القضاةَ،فكانوا ثمانين قاضياً" .

ومن تصانيفه : كتاب اختلاف أهل الكـــوفة والبصرة والشام في المصاحف ، معاني القرآن، وهو أعظم كتبه،حتى قال فيه ثعلب فيما يرويه صاحب الفهرست: "لم يعمل أحدٌ قبله ، ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه" وقد طبع محققا ، وأرى أنّه يحتاج إعادة تحقيق ، وكتاب الوقف والابتداء ، وكتاب الفاخر ، وكتاب آلة الكاتب ، وكتاب اللغات ، وكتاب النَّوادر ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب المذكَّر والمؤنث ، وكتاب مشكل اللغة الكبير وآخر الصغير ، وكتاب المصادر في القرآن، وغيرها.

وقد أفرده أحمد مكي الأنصاريُّ بدراسة واسعة ،وفيها من الآراء ما لا يتفق معه كثيرون ، وتحتاج مناقشة وردا.

توفي الفرَّاء في طريق مكة سنة سبع ومائتين ، وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة ، وقيل: توفي سنة تسع ومائتين.

وقد ذكرتُ في البيت أنّه جاء بعد الكسائيِّ ، وإنْ أخذ عن الرؤاسي ؛ لأنَّ الرؤاسيَّ لم يكن في مترلة الكسائيّ - رحمهما الله - وإليه انتهت زعامةُ الكوفيين وإشارة إلى أنّه كان أعلمَ من علي بن المبارك الأحمر ، وهو من علماء الكوفيين ، وتلامذة الكسائي المقرَّبين.

ثم قلت ذاكراً بعض مشاهير الكوفة وهم كثيرون:-

أعلامها الأنباريْ والهرَّاءُ وقاسم وثعلبُ الوضَّاء

فمن أعلامها : الإمام الأنباريُّ ، وهو الإمامُ الحافظُ ، اللغويُّ ، المقريءُ، النّحويُّ محمَّد بن القاسم بن بشّار بن الحسين الأنباريُّ ، قال ياقوت: " كان من أعلم النَّاس بنحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظاً للغة ، وكان صدوقاً ، زاهداً ، متواضعاً ، فاضلاً ، أديباً ، ثقةً ، خيراً من أهل السنَّة ، حسن الطريقة".

ويقول القفطيُّ:"وكان يحفظ فيما ذكر ثلاثمائة ألف بيتٍ من الشِّعر شاهدا في القرآن ، وكان يصلِّي من حفظه لا من كتاب" ، ويقول أيضاً : " وكان أحفظ النَّاس للغة والنَّحو ، والشِّعر ، وتفسير القرآن ، وحدَّث أنه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها".

أخذ الأنباريُّ عن محمَّد بن يونس الكديمي ، وإسماعيل القاضي ، وأحمد بن يحيى ثعلب وغيرهم.

وأما مصنَّفاته : فهي كثيرةٌ منـــها : كتاب الوقف والابتداء ، وكتاب المشكل ، وكتاب غريب الحديث النَّبويّ ، وكتاب شـــرح المفضّليات مطبوع ، وكتـــاب شرح

السَّبع الطوال مطبوعٌ ، وكتاب الزاهر مطبوع مرَّتين ، وكتاب الكافي في النَّحو .

توفي ليلة النَّحر من ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة – رحمه الله تعالى –.

تنبيه:

هناك إمامٌ نحويٌّ مشهورٌ آخر ، يُخلط بينه وبين صاحب الترجمة عند الكثيرين ، وهو الإمام كمال الدين عبد الرَّحمن بن محمَّد الأنباريّ ، وهذا متأخِّرٌ من البغداديين توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وله كتبٌ كثيرةٌ منها كتاب أسرار العربية ، وكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ، وكلاهما مطبوعٌ.

أما الهرَّاءُ ، فهو معاذ بن مسلم الهرَّاء ، وهو أستاذ الكسائيّ ، لكنَّه لم يشتهر اشتهار الكسائي ، ولابلغ علمَه ، وهو عمُّ الرؤاسي الآتي ذكرُه ، قال النَّديم :"ولا كتاب له يُعرف" ، وقال القفطيُّ: "ولم يُصنِّف شيئاً فيما علمته" ، ونسب السُّيوطيُّ إليه السَّبق في الحديث عن التَّصريف.

توفي معاذ سنة تسعين ومائة ، وقال أبو البركات الأنباريُّ توفي سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة الرشيد رحمه الله تعالى.

أمَّا قولي : (قاسم) فأعني به القاسمَ بن سلَّام الخزاعيَّ أبا عبيد ، اللغويّ ، الفقيه ، المحدِّث ، قال ابن درستويه:" كان من علماء بغداد المحدِّثين النَّحويين على مذهب الكوفيين ، ورواة اللغة والغريب عن البصريين والكوفيين"، ولهذا ذكرته في مدرسة الكوفة فهو مما يحار فيه الكثيرون فيقولون بغداديٌ ، أو بصريٌ ؛ لأخذه عن أعلام البصريين.

وهذا الإمامُ اجتمعت فيه من الخصال ما لم تجتمع عند كثيرٍ من فحول العلماء ، ويكفيه قول ابن العلاء الرقّي : " منَّ الله – تعالى – على هذه الأمة بأربعةٍ في زمانهم ، بالشافعيِّ تفقَّه في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة ، لولا ذلك كفر النَّاسُ ، وبيحيى بن مَعين نفى الكذبَ عن حديث رسول الله – صلى الله وعليه وسلم – وبأبي عبيــد القاسم بن سلام فسَّــر الغريبَ من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لولا ذاك لأَقْحَمَ النَّاسُ في الخطأ ".

أخذ أبو عبيد العلمَ عن كبار علماء عصره ، من أمثال الأصمعيِّ ، وعلي بن حمزة الكسائيِّ ، وأبي عبيدة مَعمر بن المثنّى، ويحيى بن زياد الفرَّاء ، وسفيان بن عُيينة ، وعبدالله ابن المبارك ويحيى بن سعيد القطَّان ، وغيرهم كثيرٌ ، وقد حدَّث عنه الإمام

أحمدُ بن حنبل ، ويحيى بن مَعين ، والإمام البخاريُّ وعليّ المَديني وغيرُهم ، وما وجدت من وصفه بقلة العلم في الإعراب إلا أبا الطيب في كتابه مراتب النحويين، فقـــال : "وكان ناقص العلم بالإعراب" ، ولا أدري مادليلُه ؟ إلا إذا كان يريد أنّه لم يتبحر في النَّحو كمن سبقه من كبار النَّحويين .

أما **مصنَّفاته** فهي كثيرةٌ ، منها كتابه العظيم : (**غريب الحديث**) ، وقد مكثَ في تصنيفه أربعين سنةً ، وقد استحسنه الإمامُ أحمد - رحمه الله - وهو من أشهر مصنّفاته ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب معاني القرآن ، وكتاب القراءات ، وكتاب المذكر والمؤنث ، وكتاب عدد آي القرآن .

توفي بمكة المكرّمة حرسها الله سنة أربع وعشرين ومائتين وبه جزم ابن حجر في تهذيبه ، وقيل : اثنين وعشرين ، وقيل: ثلاث وعشرين ومائتين ، وقيل : خمس وعشرين رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

ثم قلت : (وثعلب الوضَّاء) ،ووصفته بالوضاءة؛ لشهرة أثره في علم النَّحو على طريق الكوفيين ، فهو أشهر نحاة الكوفة ذكراً بعد الكسائيّ والفرَّاء ، قال أبو الطيب: "وانتهى علم الكوفيين إلى ابن السكّيت وثعلب".

وهو أبو العبَّاس أحمد بن يحيى بن زيد النَّحوي ، الشيباني بالولاء ، من أئمَّة النَّحو الكبار ، وإليه انتهت إمامة الكوفيين في اللغة والنَّحو ، قرأ على ابن الأعرابي ، والزُّبير ابن بكّار ، وكان الشيوخُ يقدِّمونه عليهم ، وهو حديث السنِّ لعلمه وفضله ، وروى عنه اليزيديُّ ، وعلي بن سليمان الأخفش ، وأبو بكر الأنباريُّ ، وأبو عمر الزَّاهد .وغيرُهم ، ذكره الخطيب البغداديُّ في تأريخه فقال : "كان ثقةً، حجَّةً ، ديِّنا ، صالحاً، مشهوراً بالحفظ ، وصدق اللهجة ، والمعرفة بالغريب ، ورواية الشعر القديم".

وكان له تأثرٌ كبيّر بكتب الفرَّاء ، وهو من المحدِّثين ، إلَّا أنّ شهرته في اللغة والنَّحو غلبت شهرته في الحديث ،جاء في طبقات الحفاظ :" قال ثعلب:سمعت من عبد الله بن عمر القواريري مائة ألف حديث".

وقد كانت بينه وبين المبرِّد خصوماتٍ ومنافراتٍ على عادة الأقران ، وقد قال فيه المبرِّد :

أقسم بالمبتسم العذب ومشتكى الصب إلى الصب

لوكتب النَّحو عن الربِّ مــازاده إلّاعمى القــــلب

و ظاهرٌ ما فيه من تجنٍّ ، فليس هذا مما يُخاطب به ثعلب – رحمه الله تعالى – ويردُّه

قولُ المبرّد نفسُه :" أعلم الكوفيين ثعلب ، فذُكِر له الفرّاء ، فقال:لا يعشره"، وسئل أبو بكر بن السرّاج أيُّهما أعلمُ ؟ أي المبرِّد أم ثعلب فقال : "ما أقول في رجلين العالم بينهما" ، وفيه إشارة إلى زعامتهما نحاة عصرهما ، وقال ياقوت في معجمه: "نقلت من كتاب محمد بن عبدالملك التاريخي في أخبار النحويين فقال: أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن ثعلب الشيبانيّ ، النَّحويّ فاروقُ النَّحويين والمعايرُ على اللغويين من الكوفيين والبصريين ، أصدقُهم لسانا ، وأعظمُهم شأنا ، وأبدعهم ذكرا ، وأرفعهم قدرا ، وأصحهم علما ، وأوسعهم حلماً ، وأتقنهم حفظاً ، وأوفرهم حظا من الدين والدنيا ".

وحدث أبو بكر بن مجاهد أنه رأى النبيَّ – صلى الله عليه وسلم– وقال له:أقرىء أبا العبَّاس عنِّي السَّلام، وقل له : " إنَّك صاحبُ العلم المستطيل" ، قال الروذْباري: " أراد أن الكلام به يكمُل، والخطاب به يجمُل وأن جميع العلوم مفتقرةٌ إليه".

وأصل هذه الرؤيا أن أبا العبَّاس خشي على حاله في الآخرة لانشغاله بعلم النحو ، بينما اشتغل غيرُه بالقرآن ، والحديث ، والفقه ، وبث شكواه وخوفه لابن مجاهد ، فرأى ابن مجاهد تلك الرؤيا.

أما مؤلفاته فقد ذكر منها النَّديم في فهرسته : كتاب الفصيح ، وهوأشهرها ، وقد

شرح بشروحٍ كثيرةٍ ، لتدلَّ على عِظَم شأنه رُغم صغر جَرْمه، وقد طبعت كثيرٌ من شروحه : كشرح ابن الجبّان ،والزمخشري ، واللبْلي ،وكتاب معاني القرآن،وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف ، وكتاب القراءات ، وكتاب معـــاني الشعر ، وكتاب الوقـــف والابتداء ، وكتاب غريب القرآن ، وشرح ديوان ثعلب مطبوع ، وكتاب المصون في النحو ، ويظهر من كلام ابن مسعر أنّه كان مشهورا متداولا في القرن الخامس فقال :"والكتاب المعروف بـــ المصون بالنحو " ، و كتاب المجالس ، وغيرها كثير.

فائدة

وكتاب المجالس حقّقه الأستاذ عبد السّلام هارون إلا أن به أخطاءَ كثيرةً في المتن ، ويعذر المحقّق الكبير – رحمه الله- بأنّه لم يطّلع على النّسخة الجيدة المنسوخة في القرن الخامس والموجودة بجامعة قاريونس ، والنيَّة تحقيقها قريبا إن شاء الله.

توفي ثعلب سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وعمره تسعون سنة رحمه الله تعالى.

ثم قلت متابعاً ذكر علماء الكوفة:-

هشام سعدان مع الرؤاسي أهل ذكاء كضيا النبراس

فاشتمل هذا البيت على ثلاثةٍ من أعلامها، وهم : أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير، وسعدان بن المبارك، وأبو جعفر الرؤاسي .

فأمَّا هشامُ بن معاوية الضرير فقد صحب الكسائيّ وأخذ عنه ، قال ياقوت في ترجمته :" أبوعبد الله الضّرير الكوفيّ النّحويّ ، صاحب أبي الحسن الكسائيّ ،كان مشهوراً بصحبته ، وعنه أخذ النّحو ، وله من التّصانيف مقالةٌ في النّحو تُعزى إليه ، وكتاب الحدود في العربيّة ، وكتاب المختصر في النّحو ، وكتاب القياس فيه أيضاً وغير ذلك".

وذكر القفطيُّ أنّ كتابه في الحدود صغيرٌ لا يرغب النّاس فيه ، وقال السيوطي:"أحد أعيان أصحاب الكسائي" .

توفي سنة تسع ومائتين رحمه الله تعالى.

وأمَّا أبو عثمان سعدان بن المبارك فقد ذكره القفطيُّ بقوله:" من علماء الكوفيين ورواقم ، وقد روى عن أبي عبيدة من البصريين ، وتوفي وله من الكتب: كتاب خلق الإنسان ،كتاب الوحوش ، كتاب الأمثال ،كتاب النقائض رواه عن أبي عبيدة ،كتاب الأرَضين والمياه والجبال والبحار".

وذكر له السيوطيُّ أيضاً كتاب المناهل ثم قال بعد عرض كتبه "وغير ذلك" ، ولم أر سنة وفاته.

تنبيه

هناك عالم آخر اسمه محمد بن سعدان الضرير نحويٌّ مقرىءٌ له مؤلفان في النَّحو كبيرٌ وصغير ، ذكر ذلك ابن مسعر ، وأشار ابن قاضي شهبة إلى أنَّ الكبير في أصول النَّحو ، والآخر مختصرٌ ، وقد طبع الموجز ، ونشر بحوليات كلية الآداب بجامعة الكويت ، وله كتاب الوقف والابتداء صغير ، وقد حققه صديقي الأستاذ محمد خليل الزروق ، ونشرته مكتبة الخانجي .

وتوفي ابن سعدان هذا سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، رحمه الله تعالى.

أمَّا أبو جعفر الرؤاسي، فهو محمد بن أبي سارة، وقال: ياقوت:" محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي"،سُمي بالرؤاسي لكبر رأسه ، قال ثعلب :"كان الرؤاسي أستاذ الكسائيِّ و الفرّاء" ، وهو من أصحاب أبي جعفر الباقر ، وأبي عبدالله الصادق ، وروي أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي بعث إلى الرؤاسي يطلب منه كتاباً ألفه في النَّحو فبعثه إليه فقرأه .

أخذ الرؤاسي العربيَّة عن أبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر وتقدَّم في النَّحو حتى قال الكسائيُّ: ما وجدت بالكوفة أحداً أعلم بالنَّحو من أبي جعفر الرؤاسي ، وإن كان اشتبه عليك قولُ أبي الطَّيب اللغويِّ في كتابه مراتب النحويين إنَّه مطروحٌ ، وإنَّه ليس نظيراً لكبار النَّحويين الذين ذكرهم من أمثال الإئمَّة البصريين يونس بن حبيب وعيسى بن عمر ، والخليل ، ونظائرهم **فقل** : لو كان مطروحاً لما ذكره الأخفش في كتاب المسائل ، وتجشَّم عناء الردِّ عليه.

وقد ذكروا له من الكتب كتاب الفيصل ، وكتاب معاني القرآن ، وكتاب التصغير ، وكتاب الوقف والابتداء الكبير ، وكتاب الوقف والابتداء الصغير ، وكتاب الجمع والإفراد.

وهو معدودٌ في القرَّاء فقد ذكره الدَّاني في طبقات القراء ، وقال :"وله اختيار في القراءة تُروى".

و لم أقف على سنة وفاته .

وفي ختام الكلام عن مدرسة الكوفة ذكرت فضيلةً من فضائلها ، وهي انتسابُ ثلاثة من القرَّاء السبعة الذين أجمعت الأمَّة على جلالتهم وعظمتهم إليها فقلت:-

يكفي ثناء أنَّما القرَّاءُ   ثلاثة من تربها قد جاءوا

وهم سادتنا:-

عاصم ابن إبي النجود(128هـ).

حمزة بن حبيب الزيات (159هـ).

على بن حمزة الكسائي (189هـ).

المدرسة البغدادية

ثم قلت :-

ومن رجال البصرة العظام وكوفة الأطهار و الإكرام

تكـــوّن نحـــــاةٌ في بغداد عاصمة العلوم والأجنـــــاد

بدأ النّاظم الحديث عن المدرسة الثّالثة في تاريخ النّحو العربيّ ، وهي مدرسةُ بغداد ، ويقصد بالمدرسة البغداديَّة تلك التي قام أبناؤها بالاختيار من آراء المدرستين البصرة والكوفة مع فتح أبواب الاجتهاد ، والوصول إلى الآراء الجديدة ، ويشير علماء التراجم إلى حقيقةٍ ظاهرةٍ عند حديثهم عن أعلام هذه المدرسة ، وهي قولهم إنّهم لم ينفكّوا عن علماء البصرة والكوفة انفكاكاً تاماً ، وإنّما كان لهم ميلٌ إلى إحدى المدرستين فتجد عبارة "كان ممن يخلط بين المذهبين"،أو "يميل إلى البصريين" أو "يميل إلى الكوفيين" ، وهذا مسلكٌ جديدٌ وهو يوافق تعريفَ كلمة مدرسة التي عرِّفت بأنها :"اتجاهٌ له خصائص مميزةٌ ينادي بها فردٌ أو جماعةٌ من النّاس ثم يعتنقها آخرون". وقد أشرت إلى هذا التكوين في قولي السابق قبل قليل:

ومن رجال البصرة العظام   وكوفة الأطهار والإكرام

تكوَّن نحـــــاة في بغداد   عاصمة العلوم والأجناد.

ثم أشرت إلى بعض علمائها الكبار ممن كان لهم الأثرُ الكبيرُ ، والفضلُ العظيمُ في النَّحو واللغة فقلت:

كالفارسي والرَّبعي البهي   وصاحب الخصائص السّري

نحاتها قد أعملوا الترجيحا   فاتبـــع خطاهم لتنل مديحاً

فالفارسيُّ هو العلّامة، الفهّامة، المحقّق، أبوعلي الحسنُ بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسيّ ، أخذ النَّحو عن كبار علماء العربية كأبي إسحاق إبراهيم الزَّجّاج ، وأبي بكر ابن السّراج، ومحمد بن عليّ مَبْرمان ، وعليّ بن سليمان الأخفش .

وصفه ابن خلكان بأنّه إمامُ النَّحو فى زمانه ، وقال القفطيُّ : "وصنَّف كتباً عجيبة حسنةً لم يُسبق إلى مثلها ، واشتهر ذكره فى الآفاق ، وبرع له غلمان حذاق".

وقال ياقوت :" أبو علي الفارسيُّ المشهورُ فى العالم اسْمُه ، المعروفُ تصنيفُه ورسْمُه ، واحدُ زمانه فى علم العربيَّة ،كان كثيرٌ من تلامذته يقول هو فوق المبرِّد".

ونقل أبو البركات الأنباريُّ في طبقات الأدباء"وقال أبو طالب العبديُّ ما كان بين

سيبويه وأبي عليّ أفضل منه".

أقام بحلب عند سيف الدّولة ، وجرت بينه وبين المتبنّ الشّاعر المشهورُ مجالسُ ، ثم انتقل إلى فارس ، وصحب عضُد الدولة بن بابويه ، وعلت منزلتُهُ عنده حتّى روي عنه قوله : " أنا غلامُ أبي عليٍّ في النَّحو" .

ومن أشهر تلامذته ابنُ جنّيّ ، وعليٌّ بن عيسى الرَّبَعيّ الآتي ذكرهما ، وأبوطالب العبديّ.

وأما مصنّفاته فهي تزيد على ثلاثين كتاباً منها : التّذكرة فى النَّحو ، والحجَّة فى علل القراءات ، والمسائل الحلبيّة ، والمسائل البغداديّة، والتّكملة فى التّصريف ، والمسائل البصريّة ،والإيضاح النَّحويّ ، والمقصور والممدود، والأغفال وهو ردٌّ على بعض مسائل في كتاب معاني القرآن للزّجّاج،وكثيرٌ من كتبه مطبوعٌ.

وكان -رحمه الله- متَّهماً بالاعتزال.

و بلغ من حبِّه للنَّحو وأهله ما نصّ عليه الفيروزآبادي : "ويقال إنّه أوصى بثلث ماله لنحاة بغداد والقادمين عليها ".

توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة عن نّيف وتسعين سنة رحمه الله - تعالى-.

أمَّا الرَّبَعيّ فهو العلّامة عليُّ بن عيسى بن الفـــرج بن صالح ، أبو الحسن الزُّهيريّ ولد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة قال ياقوت فى ترجمته : " أحد أئمَّة النَّحويين وحذّاقهم الجيِّدي النَّظر ، الدَّقيقيّ الفهم والقياس ، أخذ عن أبي سعيد السِّيرافيّ ، وهاجر إلى شيراز فأخذ عن أبي عليٍّ الفارسيّ ، ولازمه عشرين سنة ، فقال أبوعليٌّ : "ما بقي شيءٌ تحتاج إليه ، ولوسرتَ من الشَّرق إلى الغرب لم تجد أعرفْ منك بالنَّحو "، وقال ابن الأثير في الكامل: " وكان فكها كثير الدعابة " ، ووُصِف بالجنون فلم يستفد من علمه الكثيرون ، قال الجواليقي : " كان يحفظ الكثير من أشعار العرب ممَّا لم يكن غيرُه من نظرائه يقوم به ، إلّا أن جنونه لم يكن يدعه يتمكّن منه أحدٌ فى الأخذ عنه والإفادة منه".

(لطيفة تدفع السأم)

مّما حُكي من نوادره وجنونه أنّه مرّ يوماً بسكران مُلقى على قارعة الطريق، فحلَّ الربعيُ سروالَه - أى سروال الربعي - وجلس على أنفه ، وجعلَ يضرطُ ويشمُّه السكرانُ ، ويقول له :

تمتَّع من شميم عَرار نجد فما بعد العشية من عرار

ومن أشهر تلامذته الإمامُ الشريفُ الرضي ، يقول الرَّضي فى حقائق التأويل: "وقال لي شيخُنا أبو الحسن عليُّ بن عيسى النَّحويّ صاحبُ أبي عليٍّ الفارسيّ ، وهذا الشَّيخُ كنتُ بدأتُ بقراءة النَّحو عليه قبل شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني ، فقرأتُ عليه مختصر الجرميّ ، وقطعةً من كتاب الإيضاح لأبي عليّ الفارسيّ،ومقدمةً أملاها علي كالمدخل إلى النَّحو" .

أما مصنَّفاته فهى شرح الإيضاح لأبى عليّ ، وشرح مختصر الجرميّ **وفي** إشارة التعيين أنّه شرح كتاب الجرمي شرحاً وافيا ، وكان قد قرأه على السِّيرافي ، والبديع فى النَّحو، وشرح البُلغة ، وماجاء من المبني على فَعَالِ، وكتاب التّنبيه على خطأ ابن جنّي فى تفسير شعر المتبّني ، وكتاب شرح سيبويه ، قال أبو البركات الأنباري :" ويحكى أنّه شرح كتاب سيبويه ثم غسله"، وكتاب العروض مطبوع ، وغريب اللغة مشهورٌ .

توفي رحمه الله سنة عشرين وأربعمائة عن نيف وتسعين سنة.

ثم قلت: (وصاحب الخصائص السّري) ، وأعني به شيخَ عصره ، ووحيد دهره، المُتّفَق على جلالته فى علم النّحو ، وإمامته فى التّصريف ، الإمام الحجَّة الثّبت أبا الفتح عثمان ابن جني الموصليّ ، وقد أشرت إليه بأشهر مؤلفاته ، وهو كتاب الخصائص

الذى عُدّ أعجوبةً من عجائب التـــأليف ، وربط فيه مؤلفُه بين علمي الأصول والنَّحو ولم يسبقه إلى هذا أحدٌ ، وفي الكتاب من الموضوعات الدَّقيقة ما يدلُّ على عظمة الرَّجل وقدره ، قال أبو البركات الأنباريّ فى ترجمته :" كان من حذّاق أهل الأدب، وأعلمهم بعلم النَّحو والصرف".

تلقّى ابنُ جني النَّحو عن أبى عليّ الفارسيّ ، وألّف كتباً فى حياته فأقرَّ ما كتب ، وهى شهادةٌ عظيمةٌ عند أهل هذا الفنِّ قال القفطيُّ:"صحب أبا علي الفارسيَّ، وتبعه فى أسفاره ، وخلا به فى مقامه ، واستملى منه ، وأخذ عنه وصنَّف فى زمانه ، ووقف أبو علي على تصانيفه واستجادها".

وقال عنه المتنبِّي : " هذا رجلٌ لايعرف قدرَه كثيرٌ من من النَّاس" ، وكان إذا سُئل عن شيءٍ من دقائق النَّحو والتصريف فى شعره يقول: "سلوا صاحبَنا أبا الفتح". وقال ياقوت فى معجمه :" من أحذق أهلِ الأدب ، وأعلمهم بالنَّحو والتصريف ، وصنَّف فى ذلك كتباً أبرَّ بها على المتقدمين ، وأعجز المتأخرين ، ولم يكن فى شيءٍ من علومه أكمل منه فى التَّصريف ، ولم يتكلَّم أحدٌ فى التَّصريف أدقّ كلاماً منه".

وقال الباخرزي فى دمية القصر:"ليس لأحدٍ من أئمَّة الأدب فى فتح المُقفلات ، وشرح

المشكلات ماله " ،وقال أيضاً: "ومن تأمل مصنَّفاته وقف على بعض صفاته".

قلت : ومازال إلى يومنا هذا تقام دراساتٌ كثيرةٌ حول آرائه اللغوية الّتى سبق بها المدارس الغربيَّة فى الصوت والدِّلالة ، ومن ذلك اهتمامه بنشأة اللغة ، والصّوت اللغويّ وإمساس الألفاظ أشباه المعاني وغيرها.

تأثّر ابنُ جنِّي شأنه شأن شيخه أبي عليّ الفارسيّ بمذهب المعتزلة ، والاعتزال ظاهرٌ في كتبه ، وقد كان مذهبا منتشرا فى عصرهما.

أمّا كتبُه فهي كثيرةٌ في فنون اللغة المتعدِّدة فمنها : اللُمع وقد شرح بشروح كثيرة ، وقد طبع منها كثيرٌ ، وسرُّ الصِّناعة ، والمُبهج ،والمنصف ، والتَّذكرة ، الخصائص ، والتّلقين ، والمهذّب ، وقوافي الأخفش ، وإعراب الحماسة ، ومختصر العروض ، والتّنبيه ، وشرح الفصيح ، والوقف والابتداء ، وكتاب المحتسب فى شواذ القرْاءات.

توفي – رحمه الله – سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ببغداد.

ثم قلتُ منبِّهاً على منزلة علماء هذه المدرسة :

نحاتها قد أعملوا الترجيحا : فاتبع خطاهم لتنل مديحا.

فقد كانوا – رحمهم الله – مجتهدين فى لغة القرآن لم يمحهم التَّقليد ، و لم يفتهم الجديد والتَّجديد ، فصانوا أنفسم عن الوقوع فى الماضين ، ورفعوها باتِّباع الحقِّ ، وأخذ أسباب العلم كشد الرِّحال ، ومشافهة الرجال ، ولقد كان ابن جني – رحمه الله – يروي ساعة عن الأعراب عدا ما عقله عن الأوَّلين ، فكوَّن لنفسه ما فاق به نحاة عصره ، ورجَّح وهو من أئمّة تلك المدرسة ما ظهر له أنّه الحقُّ .

أقول :ومازال فى تراثنا إلى اليوم ما يحتاج إلي بحثٍ دؤوب ، واستنباط عميقٍ ، ولا تلتفت إلى من قال ماتت مسائل النَّحو ، فهذا جهلٌ يعيب قائلَه ، فالنَّحو ما احترق درسُه ، ولا جفَّ أسُّه ، وهذا لا يتأتَّى إلا بشحذ الهمَّة ، والسَّهر الطَّويل ، والجدِّ الكبير ، ولنا فى الشيخ الطَّاهر ابنُ عاشور وأبحاثه الجليلة الدليلُ والبرهان ، فا عرف ذلك.

ثم قلت متابعا ذكرَ بعض أعلامها :

أبو نزار الحسن بن صافي ... من مَلَكَ النُّحاةَ، والسيرافي

الأخفشُ الصغير والرمَّاني ... أبو البقاء العكبري الجيلاني

فأما أبو نزار: فهو الحسن بن صافي بن عبدالله بن نزار بن بن الحسن البغداديّ ،

وقد لُقّب كما أشرت فى البيت (**بملك النحاة**) تتلمذ على جملة من علماء عصره مـــن أمثال أبي الفتح بن برهان ، وعلي بن أبي زيد الفصيحي ، وأبي طالب الزَّينبي.

قال القفطيُّ : "برع فى النَّحو حتى صار أنحى أهل طبقته ، وكان فهما ذكيا فصيحاً ، له نظمٌ ورصفٌ حسنٌ إلَّا أنَّه كان عنده عُجبٌ بنفسه، وتِيهٌ بعلمه ، لقَّب نفـــسَه (ملك النُّحاة) وكان يسْخَط على من يخاطبه بغير ذلك" ، ونسب إليه صاحب دُمية القصر:"وهل سيبويه إلامن رعيّتي وحاشيتي ، ولو عاش ابنُ جنّي لم يسعه إلاحمل غاشيتي".

أما مصنَّفاته فكثيرةٌ منها: المقتصد فى التّصريف ، والعروض ، والمقامات ، والعمدة في النَّحو ، والمسائل العشر المتعبات إلى الحشر وقد أوردها الإمام السُّيوطي في كتابه الأشباه والنظائر ، والإمام السَّخاوي فى سفر السعادة ، والحاوي ، والمنتخب ، قال القفطي:"وهو كتابٌ نفيس".

ومن شعره يمدح رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:-

يامن رأى المـــلأ الأعـــلى فراعـــهم وعاد وهو علـــى الكونين يحتكــــــم

يا من له دانت الـــدنيا وزخرفت الـــأخـــرى ومـــن بعـــلاه يفـــــخر النســــم

يا من أعـــاد جمال الحق متضـــحاً من بعد أن ظوهـــــرت بالباطل الظلم

علوت عن كل مدح يستفاض فما الجلال إلا الذي تنحوه والعظم

توفي – رحمة الله – سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وتمام البيت:(**والسِّيرافي**) ، وهو الإمام اللغويُّ أبوسعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السَّيرافي نسبة إلى مدينة سِيراف من بلاد فارس ، كان أحد قضاة بغداد وعلمائها الكبار ، **قال القفطيُّ** : "وكان من أعلم النَّاس بنحو البصريين ينتحل فى الفقه مذهب أهل العراق".

قرأ السِّيرافي على أبي بكر بن مجاهد ، وأبي بكر بن دُريد ، وأبي بكر بن السّراج ، وعلى أبي بكر المبَرْمان ، **فتأمَّل** عجيبَ اتِّفاق كُنى مشائخه ، وهم سادةُ الدينا في عصرهم ، وقد أفرد له القفطيُّ كتابا ، وهو لا يُفرد كتبا للأعلام إلا إذا كانوا من فحول العلماء ، وكرام الفضلاء ، و وسمه بـــ (**المفيد فى أخبار أبي سعيد**) ، وقال عنه: "وهو كتاب ممتع".

وقد وصفه أبو حيَّان بقوله:"شيخ الدَّهر ، وقريع العصر ، العديم المثل ، المفقود الشكل ، أبي سعيد السِّيرافي".

و كذا أفرد لـــه ياقوتُ فى كتابه معجم الأدباء ترجمة طويلة ، ذكـــر فيها أخباره وأشعاره ، ولولا روم الاختصار لنقلت شيئا منها ، فطالعها فإنَّها مفيدة .

ومن تصانيفه كتاب:(شرح سيبويه) وهو كتاب كبير خطير ، قال الأنباريُّ: "ولم يشرح كتاب سيبويه أحدٌ أحسن منه" ، وقد حُقق بالجامعات المصرية ، ونقل السيوطيُّ أنَّ أبا علي الفارسيّ حسده عليه ، وأخبـــار النُّحاة صغير مطبوعٌ ، وكتاب الإقناع ، وصناعة الشعر والبلاغة ، والمدخل إلى كتاب سيبويه.

توفي في سنة ثمان وستين وثلاثمائة رحمه الله رحمة واسعة.

ثم قلت متابعاً وقد وذكرته قبل قليل:-

الأخفش الصّغير والرماني ... أبو البقاء العكبري الجبلاني

فالأخفش الصغير: هو علي بن سليمان بن الفضل الملقب بالأخفش الصغير ، وقد ذكرت فى النظم الصغير ؛ لأنَّ هناك الأخفش الكبير ، والأخفش الأوسط ، وإذا ذكر اسم الأخفش مجرداً دون قيدٍ فيُراد به الأوسطُ سعيد بن مسعدة فهو أشهر الثلاثة ، وهو بصريٌّ متقدمٌ معاصرٌ للكسائيِّ ، وقد مرَّت ترجمتُه فى قولي :

والأخفش الإمام والمبرد ... عنبسة ويونس المجد

والأخافش كثيرون يزيدون على العشرة ، والمشهورون منهم هم هؤلاء الثــلاثة.

أخذ الأخفش الصغير عن أبي العبَّاس أحمد بن يحيى ثعلب ، ومحمد بن يزيد المبرِّد ، واليزيدي ، وأبي العيناء الضرير ، وروى عنه أبو عبد الله المرزباني ، والمُعافى بن زكريا الجريري .

قال عنه صاحب مرآة الجنان وعبرة اليقظان:" وكان ثقةً " ، وقال فيه المُرزباني: " ولم يكن بالمتَّسعِ فى الرواية للأخبار ، والعمل بالنَّحو ، وما علمته صَّنف شيئا البتَّه ، ولا قال شعرا ، وكــان إذا سئل عــن مســائل النَّحو ضجر ، وانتهر كثيرا من يواصل مساءلته ويتابعها".

أقولُ : هذا قد يأتي من شدة الثِّقة بالنفس ، وكان سيدُنا مالكٌ – رحمه الله – لا يحبُّ من يراجعة فى دليل مسألة من المسائل ، ولا يُعتقد أنَّه العجز.

هجاه ابن الرُّومي الشَّاعر المشهور كثيرا ؛ لأنَّ الأخفش كان يُزعجه بألفاظ عند خروجه من بيته ، وكان ابن الرُّومي متطيِّرا ، وكان الأخفش يستحسنُ هذا الهجاء ويذكره ، أراد بذلك أن يخلده ابن الرومي في شعره ، فلمَّا علم ابنُ الرُّوميّ مرادَه ترك هجاءه.

ومن مصنفات الأخفش التي ذكرها ياقوت ، وهي ردٌّ على زعم المرزباني الذي ذكر أنّه لم يؤلف مصنفاً: الأنواء ، والتثنية والجمع ، وشرح كتاب سيبويه ، والحداء، وكتاب تفسير رسالة كتاب سيبويه.

توفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة رحمه الله تعالى.

أمّا الرُّمَّاني فهو : عليٌّ بن عيسى بن علي بن عبد الله اشتهر بالرُّمَّاني ، قال ابن مسعر :" أدرك الزَّجَّاج وابن السّراج وقرأ عليهما الكتاب " ، ومن شيوخه أيضا أبو بكر بن دريد .

ومن تلاميذه : أبوالقاسم التنوخي ، والجوهريُّ ، وهلال بن المحسن الكاتب ، قال القفطيُّ: " وكان من أهل المعرفة ، مفتناً في علوم كثيرة من الفقه ، والقرآن والنَّحو، واللغة ، والكلام على مذهب المعتزلة ، وله التَّصانيف المشهورة في التَّفسير والنَّحو ، واللغة".

وهو في طبقة أبي عليّ الفارسيّ ، وأبي سعيد السِّيرافيّ ، وكان يُعبَّرُ عن الثلاثة أي : الفارسيّ والسّيرافيّ والرمّانيّ بالقول: "النَّحويون في زماننا ثلاثة : واحدٌ لا يُفهم كلامُه ، وهو الرمَّانيُّ ، وواحدٌ يُفهم بعض كلامه ، وهو أبو عليّ الفارسيّ ، وواحدٌ

يُفهم جميعُ كلامه بلا أستاذ ، وهو السِّيرافيُّ".

كان الرُّمَّانيُّ معتزلياً ، وممن يُفضِّل علياً على أبي بكرٍ وعمرَ ، وله مصنفاتٌ كثيرةٌ منها: تفسير القرآن المجيد ، والحدود الأكبر ، ومعاني الحروف ، وشرح الموجز لابن السرَّاج ، وشرح مختصر الجرمي ، شرح الألف واللام للمازني ، إعجاز القرآن ، والإيجاز في النَّحو ، وكتاب التَّصريف ، والاشتقاق الكبير ، وآخر الاشتقاق الصغير ، وشرح المُدخل للمبرّد ، والخلاف بين النَّحويين ، وفي إشارة التّعيين نصٌّ على أنّه شرح كتاب سيبويه في سبعين كراسةً ، وشرح أصول ابن السرَّاج ، ومصنّفاته تقرب من مائة.

وقد أفرده بعض المحدثين بكتاب يبحث في آرائه ، وسيرته.

توفي -رحمه الله- سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

أمَّا آخر من ذكرتُ من أعلام هذه المدرسة فهو الإمامُ الحُجُّة كثيرُ التّصنيف مُحبُّ الدِّين عبدالله بن الحسين بن أبي البقاء العُكبريّ البغداديّ، الحنبليّ، الضّرير.

قرأ العُكبريُّ على ابن الخشَّاب ، وعلي بن عساكر ، وأبي البركات بن نجاح ، ونقل الصَّفدي في نكْت الهميان :" قال ابن النجّار : قرأتُ عليه كثيراً من مصنَّفاته ،

وصحبته مدةً طويلةً ، وكان ثقةً متديناً ، حسنَ الأخلاق متواضعاً " ، وقال المؤرِّخُ القفطيُّ: " وكان جمَّاعةً لفنون من العلم والمصنفات ، وله مُصنّفاتٌ حسانٌ في إعراب القرآن وقراءته ، وإعراب الحديث ، والنَّحو ، وشرح المقامات الحريرية ، وشعر أبي الطيب المتنبّي ، وغير ذلك" .

أقول: – مؤلفاته كثيرةٌ ، وقد كتب الله لها الشيوعَ والانتشارَ ، وقد طبع منها كثيرٌ محققا ، ومن هذه المؤلفات: إعرابُ القرآن المسمّى بالتّبيان وطبع مرارا ،وحققّه البيجاوي ، وشرح اللمع ،وحقّقه أستاذنا عبد الحميد الزّويّ لنيل الدكتوراه من دار العلوم بالقاهرة ، وطبع بجامعة قاريونس ، واللباب في علل النَّحو ، حقّقه عبد الإله نبهان ، وشرح المفصل ، وإعراب شعر الحماسة ، واعراب شواذ القراءات طبع في مجلدين ، والتبيين في الخلاف بين الكوفيين والبصريين ، حققه العثيمين لنيل الماجستير ، والبلغة في الفرائض ، وشرح الفصيح ، وشرح ديوان المتنبي ، وإعراب الحديث حققه عبد الإله نبهان .

توفي – رحمه الله– سنة ست عشرة وستمائة.

فائدة

أشرتُ في هذا البيت إلى لفظ الجيلاني ، وهي نسبة أبي البقاء العكبريّ إلى شيخه عبد القادر الجيلاني الوليٍّ المشهورُ ، وقد ذكر هذا الانتسابَ صاحبُ كتاب كشف الظنون ، وردَّه عليه الشيخ المحقّق عبد الرحمن العثيمين - حفظه الله - في تحقيقه لكتاب التَّبيين عن مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وقال: هي نسبةٌ غيرُ صحيحة ، وقد وهِم في ذلك ، والصَّواب أنَّها نسبةٌ صحيحةٌ ، فقد ذكر الحافظ ابن حجر الهيثميّ في مصَّنفٍ له كان قد ألّفه في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني - وهو مطبوعٌ- تلمذَةَ أبي البقاء العُكبري للإمام عبد القادر الجيلاني ، وروايته كرماته ، وجلوسه في حلقته ، فلا تستبعد هذا الانتساب ، والله أعلم.

المدرسة الأندلسية

ثم بعد ذلك شرعت في بعض أعيان علماء الأندلس الذين شاع ذكرُهم ، وعلا صيتُهم ، وكانت لهم مصنَّفاتٌ عظيمةٌ ، وأيادٍ كريمةٌ في علم النَّحو ، فقلت:

وفي بلاد طارق قد عظما مؤلفاً مسهلاً إذ علما.

يرى جمهرةٌ واسعةٌ من الباحثين أنَّه قد كان للأندلسيين شأنٌ كبيرٌ في تسهيل قواعد اللغـــة ، وشرح المُلغز ، وفكِّ المرمز ، وكانت لهم آراءُ مستقلةٌ أو مختارةٌ من آراء البصريين ، والكوفيين ، والبغداديين ، ويُرجعون تاريخَ انطلاقها إلى القرن الخامس الهجريِّ أو آوائل القرن السادس.

وأقول: إنَّ تاريخها أقدمُ من ذلك ، فمشاركة أبنائها كانت منذ القرن الرَّابع كما سيأتي في ترجمة الرَّباحي - رحمه الله - واستمرت في عطائها إلى منتصف القرن الثَّامن تقريباً ، وفي هذه الفترة استطاع أبناءُ تلك المدرسة أن يُظهروا نشاطاً ظاهراً في حركة التأليف ، وظهر اجتهادُهم في الفروع وحسن التعليل ، بل اختـــطَّ بعضُهم كالقاضي

الظاهريّ ابن مضاء منهجاً لم يُسبق إليه ، وهو نبذ كثيرٍ من المسائل النَّحويّة ، ولعلّ ظهور المذهب الظَّاهريِّ في تلك البقعة ، وهو المـــذهبُ الذي يعتـــمد في آرائه الظاهر من النصوص الشرعية ، وينكر القياس والعلل الفقهيةَ كان له أثرٌ كبيٌر في نظر بعضـــهم إلى التقعيد النَّحويّ نظرة جديدة بعيدة عن العلل والعامل.

وقد عبرت عن بلاد الأندلس بقولي:(**وفي بلاد طارق**) في إشارة إلى فاتحها طارق بن زياد – رضي الله عنه– المتوفي سنة اثنتين ومائة من الهجرة النبوية المباركة.

وبعد هذا التَّمهيد أشرتُ إلى أشهر أعلامها ، ومن أعظم أئمَّة العربيَّة أثراً: الإمام الحجَّة مُحمَّد بنُ عبد الله بن مالك ، و من بعده ابنه الإمام بدرالدِّين فقلت :–

إن ذكروا فاذكر جمال الدين　　محـــمد بن مالك المكـــــين

أعظم به من عـــــالم أمين　　حاز القبول ذي الرضا المتين

ونجله الإمـــام بـــدر الدين　　محمـــد ذو العلم والتمكين

وشرحه أمُّ الشروح العالية　　أعنـــي به نثر لآلي الكافية

فأمَّا ابن مالك صاحب الألفيَّة وغيرها فهو الإمامُ الثبتُ ، قبلةُ اللغويين ، وحجَّةُ المختلفين ، مُحمَّدُ بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطَّائيُّ ، الجيَّانيُّ، الشَّافعيّ ،

النَّحويُّ نسبةً إلى جيَّان بلد بالأندلس ، قال الذَّهبيُّ : " صرف همَّته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغايةُ ، وحاز قصب السبق ، وأربى على المتقدمين ، وكان إماماً في القراءات وعللها ، وصنَّف فيها قصيدةً داليَّةً مرموزةً فى مقدار الشاطبية ، وأمَّا اللغةُ فكان إليه المنتهى فى الإكثار من نقل غريبها ، والاطلاع على وحشيِّها ، وأمَّا النَّحوُ والتَّصريفُ فكان فيه بحراً لايُجارى ، وحبْراً لايُبارى ، وأمَّا أشعارُ العرب التى يُستشهد بها على اللغة والنَّحو فكانت الأئمَّة الأعلام يتحيَّرون منه ، ويتعجَّبون من أين يأتي بها".

سمع ابنُ مالك من السَّخاوي ، والحسن بن صباح ، وابن الحاجب ، وابن عمرون ، وثابت بن حيَّان ، وأبي عليّ الشلوبين ، وابن يعيش الحلبيّ ، وابن يعيش هذا وصفه السيوطيُّ بالشيخ الجليل ، وفيه ردٌّ على أبي حيَّان فى قوله عن ابن مالك : " بحثتُ عن شيوخه فلم أجد له شيخاً مشهوراً يُعتمد عليه ، ويرجع فى حلّ المشكلات إليه".

أمَّا تلامذتُه فهم كثيرون منهم ابنُه الأتي ذكرُه بدرُ الدِّين المشهورُ بابن النَّاظم ، والشَّمس بن أبي الفتح البعلي ، والبدرُ بن جَماعة ، والعلاءُ بن العطار ، وأبو الحسن اليونيني المحدِّث المشهور ، وابن النَّحَّاس ، وأبو الثناء محمود الحلبيّ كاتب الإنشاء في مصر ودمشق.

أما مصنَّفاتُه فهى كثيرةٌ ، أورد السيوطي نظماً لأحد العلماء يحويها فارجع إليه.

وقد اشتملت على معارف عدة ، ومن أشهرها : الكافية الشّافية ، وهى أرجوزةٌ طويلةٌ فى قواعد النَّحو والصّرف ، وقد شرحها المصنّف ، وحققت في خمسة أجزاء ، وكتابُ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لم يكمله ، وحقق في جزئين ، ولامية الأفعال مطبوعة متداولة ، وعمدة الحافظ ، وقد طبع في جزئين ، وشواهد التَّوضيح لمشكلات الجامع الصحيح ، وقد طبع ، والاعتضاد فى الظاء والضاد مطبوع ، وإيجاز التَّصريف ، وغيرها ، إلّا أنّ الألفيَّة أو الخلاصة هى أشهرُ مؤلفات ابن مالك حتى كادت تغلب بشهرتها سائر مؤلفاته الأخرى ، وكتب الله لها الذيوع ، وغرس حبَّها فى القلوب ، وشرحها كثيرٌ من العلماءُ ، وأصبحت مرجعاً لطلبة العلم إلى يومنا هذا .

ومن أعظم شروحها:شرح الشّاطبي وهو أكبر شروحها ، وقد طبعته جامعة أم القرى في عشرة أجزاء ، وشرح أبي حيَّان الأندلسي ، وشرح المُرادي توضيح المقاصد والمسالك ، وشرح الهواري ، وشرح ابن هشام المصري أوضح المسالك ، وشرح ابن عقيل ، وشرح المكُودي ، وشرح الأشموني منهج السالك ، وكلٌّ هذه مطبوعة .

وبلغ من عنايتهم بها أنها قد أعربت ، ومن أشهر مُعرِباتها إعراب الأزهري وابن طولون ،وكلاهما مطبوعٌ

وقد خصَّ الإمامُ الصّفديُّ الإمـــامَ ابنَ مالك بكتابٍ مستقلٍ لم أره مطبوعاً ، وقد رأيت من أشار إلى وجوده بدار الكتب المصريّة.

توفي الإمام ابنُ مالك – رحمه الله – سنة اثنين وسبعين وستمائة ، ورثاه كثيرٌ من العلماء ، منهم شرف الدين الحُصني في قوله:-

ياشتات الأسماء والأفعال بعد موت ابن مالك المفضال

أمَّا ابنُه فهو الإمامُ النَّعويُّ بدرُ الدِّين محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن مالك قال الصَّفديُّ : " كان إماماً فهماً ، ذكياً ، حادَّ الخاطر ، إماماً فى النَّحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، والعروض ، والمنطق ، جيِّد المُشاركة فى الفقه ، والأصول".

وقال التّاج السُّبكي:" قد تفرَّد بعلم العربيَّة خصوصاً كلام والده ، وكان له مشاركاتٌ فى العلوم ، وكان صحيحَ الذِّهن ، جيدَ الإدراك ، حديدَ النفس".

وتولّى وظيفةَ والده بعد موته بدمشق ، وتصدَّى للاشتغال والتصنيف.

من مصنَّفاته :- شرح ألفية والده مطبوع ، قال ابن العـــماد : "وهو شرح في غاية

الحسن" ، والمصباح فى المعاني والبيان ، وقال السيوطيُّ: المصباح فى اختصار المفتاح في المعاني ، وكتاب روضة الأذهان ، وكتاب شرح الملحة ، وكتاب شرح الحاجبيّة ، وكتاب مقدمة فى العَروض ، وكتـــاب مقدِّمة فى المنطق ، وكتاب شرح لامية والده ، وشرح كافيته.

تعقَّب بدرُ الدِّين عند شرحه الألفيّة والِـــدَه ، وردَّ عليه كثيرٌ من الشّرَّاح منتصرين للأب على الابن.

ويُعدُّ شرحُ ابن النَّاظم لنظم والده الكافية الشافية – وهى قصيدةٌ من ثلاثة آلاف بيتٍ ضمَّنها معظمَ مسائل النَّحو والصّرف– من أعظم الشروح ، وقد شرحها النَّاظمُ نفسُه ،ولهذا قلت :–

وشرحُه أمُّ الشروح العالية   أعني به نثرَ لآلى الكافية.

توفي الإمام بدر الدِّين بن مالك ، و لم يعمِّر طويلا سنة ست وثمانين وستمائة عـــن نيف وأربعين سنة رحمه الله – تعالى –.

ثم قلت ذاكرا أحد أكبر علماء العربيّة :

ياقارئاً لعلم قوم فضلوا　　　وفى مجالس التكريم بجلوا

فلتنغمس فى بحرها المحيط　　　ونهرها الماد بلا تفريط

لشيخنا حبر النُّحاة الأكرم　　　أبي حيَّان الأمجد المعظم

اشتملت الأبياتُ الثّلاثةُ على حثّ تعلُّم العربيَّة ، والإشارة إلى كتابين عظيمين لإمام من أئمَّة الأندلسيين ، وهو الإمام أبي حيَّان الأندلسيّ – رحمه الله – وقد قصدتُ بقولي :–

* وفى مجالس التكريم بجلوا *

الإشارةَ إلى تعظيم النَّاس من يُحسن العربيَّة ،فمن لايحسن العربيَّة يُستثقل قولُه ، ويُطعن فى علمه ، وهذا مما جرَّبناه فإنَّنا نسمع أنَّ فلاناً خطيبٌ معظَّمٌ ، يسحر الألبابَ قولُه ، فنشد الرحالَ إليه فإذا هو لحّانةٌ لا يقيم قواعد النّحو ، فيسقط من العين ، وتأسف على جهل المستمعين ، وتعود حزيناً لنصب الفاعل ، وجرِّ المفعول ، ورفع التمييز ، ولا حول ولاقوة الا بالله العليِّ العظيم ، ورحم اللهُ إسحاقَ ابن خلف البهرانيَّ فى قوله :

النَّحو يبسط من لسان الألكنِ　　　والمرء تكرمه إذا لم يلحنِ

وإذا طلبت من العلوم أجلّـها　　　فأجلها منها مُقيمُ الألسنِ

ولو عرف بعض الخطباء حقيقة قول الشرفُ العَمريطي :

النَّحو أولى أوَّلاً أن يُعلما　　　إذ الكلام دونه لن يفهـما

لما كانت لهم الجُرأةُ على التَّصدُّر ، ولعكفوا على درس قواعده حفظاً لماء الوجه إن كان فى وجوههم فضلُ ماء .

*عودٌ على ماكنا فيه أقول: إنَّ من أعلامها الإمامُ فريدُ عصره ، وشيخُ زمانه، محمَّدُ بن يوسف بن عليّ بن يوسف حيَّان أثير الدين الغرناطيّ قال الصَّفديُّ مبيناً حالَه فى طلب العلم : "ولم أر فى أشياخي أكثرَ اشتغالاً منه ؛ لأنّي لم أره إلّا وهو يسمعُ ، أو يشغل ،أو يكتبُ ، ولم أره على غير ذلك" ، وقال السيوطيُّ فى بغيته : " نحويُّ عصره ولغويُّهُ ، ومفسِّرُهُ ، ومحدِّثُهُ ، ومقرئُهُ ، ومؤرِّخُهُ ، وأديبُهُ".

وقد ذكر مترجمُوه أنَّ له أربعمائة وخمسين شيخاً منهم: القطب القسطلّاني ، وابن دقيق العيد ، وأبو اليمين بن عساكرٍ ، والعلم العراقي ، وشيخ الإسلام ابن تيميَّة ، إلَّا أنّه وقع بينه وبينه شيءٌ بسبب تخطئة ابن تيميَّة لسيبويه ، فرماه فى تفسيره النَّهـر الماد

بكـــلّ سوء.

وكان له الفضلُ فى شيوع مؤلفات ابن مالك ، قال الصَّفديُّ : "وهو الذى جسَّر النَّاس على مصنَّفات الشيخ جمال الدين بن مالك – رحمه الله –، ورغَّبهم فى قراءتها ، وشرح لهم غامضَها ، وخاض بهم لججَها ، وفتح لهم مقفلَها".

وقال صاحب إشارات التعيين : "وقصده الطلَّابُ لعلم الإعراب ، ووضع فيه المصنفاتِ الباهرةَ من مطوَّلاتٍ زاهرة ، ومختصرات فاخرة".

والحاصل أنَّه كان كما يقول مترجموه إمامَ الدُّنيا فى عصره فى النَّحو واللغـــة مـــع التفسير ، والحديث، والتّاريخ .

أمَّا مصنَّفاتُه فهى كثيرةٌ قال الصَّفديُّ فى نكته : "سارت وطارت"فمنها: البحر المحيط فى التَّفسير ، ومختصره النَّهر الماد مطبوعان ، وإليهما أشرتُ فى النَّظم فقلت:–

فلتنغمس فى بحرها المحيط ۝ ونهرها الماد بلا تفريط

وبهما انماز الإمام أبو حيَّان الأندلسيّ من أبي حيَّان التّوحيديّ الفيلسوف صاحب البصائر ، والإمتاع،(مطبوعان) وهو نحويٌّ أيضاً من نحويٍّ بغدادٍ فاعرف ذلك ، وإتحاف الأريب بما فى القرآن من الغريب مطبوعٌ ، والتذييل والتكميل فى شرح التَّسهيل

كبير ،وقد طبع منه إلى الآن سبعة أجزاء ، وقد يصل إلى عشرين جزءاً، ومطوّل الارتشاف ومختصره ، قال السيوطيُّ : " ولم يُؤلَّف فى العربيَّة أعظم من هذين الكتابين ، ولا أجمع ، ولا أحصى للخلاف والأحوال ، وعليها اعتمدتُ فى كتابي جمع الجوامع" وقد طبع الارتشاف محققا مرتين : الأولى بتحقيق النّمّاس ، وهي سيئةٌ مُلئت بالخطأ ، وأخرى بتحقيق رجب عثمان ، وهي حسنةٌ ، ونشرته دار الخانجي ، والمبدع في التصريف محقّقٌ ، واللمحة ، وقد طبع بشرح ابن هشام محققا مرّتين الأولى لهادي نهـر والأخرى لصلاح رواي ،والأبيات الوافية فى علم القافية، وغيرها كثير.

أُصيب – رحمه الله – بالعمى ، وتوفي بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، ورثاه تلميذُه الصَّفديُّ فى رائية يقول فى مطلعها:-

مات أثير الدين شيخ الورى　　　فاستعر البارق واستعبرا

ثُمّ قلت متابعاً ذكر نحاة الأندلس :-

و ابن خروفٍ تلو لابن طاهر　　　وابن مضاء قوله فحاذر

فابن خروف هو : عليُّ بن محمَّد بن يوسف نظام الدين أبو الحسن بن خروف القرطبيُّ ، الأندلسيُّ، النَّحويُّ ، قال ابن شاكر فى فوات الوفيات : "حضر من إشبيلة،

وكان إماماً فى العربيَّة ، محقّقاً ،مدقّقاً ، ماهراً ، مشاركاً فى الأصول".

وتخلط بعضُ المصادر بينه وبين عليّ بن محمَّد بن علي بن خروف الشَّاعر ، والصَّواب ما فى معجم الأدباء أنَّهما اثنان،وأشهر شيوخه: ابن ملكون ، وابن طاهر المعروف بالخِدبِّ صاحب الحواشى على كتاب سيبويه ، ومن تلامذته شيخ المغرب: أبو الحسن الغافقي .

رحل من إشبيلية فحجَّ وجاور بالقدس ، ثم عاد إلى قرطبة وفى رحلته الثانية استوطن حلب ، وله مؤلفاتٌ فى النَّحو منها: شرح كتاب سيبويه وهو شرحٌ جليل القدر وقد طبعت جمعية الدعوة الإسلامية بليبيا بعضا منه ، وشرح جمل الزجاجيّ وقد طبع أيضا في جزئين محققا ، وكتابٌ فى الفرائض ، وكتاب الزَّهو فى الردِّ على من نسب السهو إلى أئمَّة النَّحو ردّ به على ابن مضاء الآتي ذكره ، وله مناظراتٌ مع الإمام السهيلي الآتي ذكرُه أيضاً ، والردُّ على ابن ملكون .

وقد أقرأ النَّحو ببلادٍ كثيرةٍ أثناء رحلته ، وله آراءٌ انفرد بها هي متناثرةٌ فى كتب النَّحو ، وهو ممن استشهد بالحديث على التقغيد ، وكان شاعراً مجيداً ، أورد له مترجموه شيئاً من شعره ، وقد اختلَّ فى آخر عمره.

توفي – رحمه الله – سنة تسع وستمائة ، وقيل غير ذلك ، وسبب موته أنَّهُ سقط فى جُبٍّ ليلاً بحلب وقيل بإشبيليَّة .

أما ابن طاهر فهو: محمَّد بن أحمد بن طاهر الأنصاريُّ ، الإشبيليُّ ، أبو بكر المعروف بالخِدَبّ ، والخدب :الرجلُ الطَّويل ، وهو بكسر الخاء وفتح الدّال وتشديد الموحّدة ، وهو شيخ ابن خروف من مرّ ذكرُه قبل قليل ، ولهذا قلت :

* تلوّ لابن طاهر *

ففيه: أنّ ابن خروف جاء بعده ، وهو من أعظم تلامذته ، وأقربهم إليه.

تلقَّى ابنُ طاهر عن عبد الرَّحمن بن محمَّد الرمَّاك تلميذ ابن الطراوة ، كما أخذ أي :(ابن طاهر) عن ابن الأخضر ، ويشير أصحاب التَّراجم إلى أنّه كان من حذّاق النَّحويين ، وأئمَّة المتأخِّرين ، وله اعتناء بكتاب سيبويه ، وأقرأ معاني القرأن للفراء.

ومن أشهر تلامذته ابنُ خروف ، ومصعب الخشني ، وعبد الحق السّكوني.

وقد عُرِف بحواشيه على كتاب سيبويه ، وقد اعتمدها ابن خروف فى شرحه المشهور على الكتاب ، قال السّيوطيّ : "وقفتُ على حواشيه على الكتاب بمكّة المشرَّفة" ، وقد سمّاها الطُرر .

توفى فى عشر الثمانين وخمسمائة ، وقيل غير ذلك ، رحمه الله تعالى.

ثم قلت ذاكراً أحد أعلام الأندلس ، ومحذّراً من قولٍ اشتهر عنه فى النَّحو ، وقد ذهب فيه إلى هدم قاعدة العامل والعلل:

وابن مضاء قوله فحاذر

وهو الإمام أبوالعبَّاس أحمد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سعيد بن حريث بن مضاء اللخميُّ ، القرطبيُّ أحد علماء اللغة ، والأصول ، والطبِّ ، والحساب ، ومن الشُّعراء البارعين ، نقل السُّيوطي عن ابن الزبير فيه : " أحد من خُتمت به المائة السادسة من أفراد العلماء ".

أخذ عن ابن الرمّاك كتاب سيبويه تفهما ،وسمع عليه وعلى غيره من الكتب النَّحوية واللغوية والأدبيَّة ما لا يحصى ، وكان له تقدّمٌ فى علم العربيَّة ، واعتناء وآراء مخالفة لأهلها .

ومن شيوخه: المفسِّر عبدُ الحقِّ بن عطيَّة صاحب التفسير الكبير المُحرر الوجيز، والقاضي عياض صاحب الشفا.

تولّى ابن مضاء القضاء فى فـــاس وغيرها ، وكان حسن السيرة ، ومن تصانيفه:

الردُّ على النَّحويين وقد طبع بتحقيق شوقي ضيف ، وتتريه القرآن عما لايليق بالبيان ، والمشرق فى النَّحو .

وقد تقدَّم ذكرُ كتاب ردٍّ فيه ابنُ خروف على ابن مضاء سمَّاه تتريه أئمة النَّحو عما نسب إليهم من الخطا والسهو ، فلما بلغ ابنُ مضاء نبأ هذا الردِّ ، قال:"نحن لانبالي بالكباش النطّاحة وتعارضُنا أبناء الخرفان" .

توفي رحمه الله سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة.

ثم قلت مسترسلاً فى ذكر بعض علماء الأندلس من النحويين:-

أعلامها اللخمي والسهيلي والأعلم كذاك والجزولي

مع الزبيدي والرياحي شيخه من جاءنا معطّـرا تاريخه

فاشتمل هذان البيتان على ستةٍ من مشاهيرهم

فالأول اللخميُّ ، وهو أبو عبد الله محمَّد بن علي بن هانيء اللخميُّ السبتيُّ ، قال السيوطيُّ يعرف بجدِّه ، أخذ عن أبي إسحاق الغافقي ، وأبي بكر بن عبيدة النَّحوي ، وأبي عبد الله بن حريث ،وهو معدودٌ من أهل القراءات.

قال الخطيب فى أخبار غرناطة :"أصله من إشبيلية ، وكـان إماماً في العربيَّة،

مبرزاً مقدماً،حافظاً للأقوال ، مستحضرا الحُججَ لا يُشقُّ فى ذلك غبارُه ، ريّان من الأدب ، بارع الخط ، مشاركاً في الأصلين ، قائماً على القراءات ، حسن المجالسة ، رائق المحاضرة ، فائق الترسُّل ، متوسِّط النظم".

ومن مصنَّفاته: شرح التسهيل ، الغرَّة الطالعة فى شعر المائة السابعة ، لحن العامة ، أرجوزة فى الفرائض .

قُتل –رحمه الله– شهيداً سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة.

والثاني هو الإمام السُّهيلي، واسمه: أبوالقاسم وأبو زيد ، ويقال الإمام أبوالحسن : عبد الرَّحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن أصبع بن الحسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح ، أحد العلماء المبرزين ، وقضاء مراكش المشهورين.

قال الصّفديُّ فى نَكْت الهَمْيان: "وكفّ بصرُه وهو ابن سبع عشرة سنة،وكان عالماً بالعربيّة ، واللغـــة،والقراءات ، بارعاً فى ذلك ، تصدَّر للإقراء ، والتدريس، والحديث ، وبعُـــد صيتُه ، وجلَّ قدرُه ، وجمع بين الرواية والدراية".

ونقل السيوطيّ عن ابن الزُّبير إحاطته بالكلام والأصول والتّاريخ إلى جانب النّحو والتفسير.

وذكروا أن من أشهر مشائخه: الإمام ابن العربيّ المالكيُّ، وابن الطّراوة ، قال الصّفدي عن تلقيه عن ابن الطراوة : " وسمع منه كثيراً من اللغة والآداب ، ومن تلاميذه : الإمام الرنديّ ، وأبو الحسن الغافقي".

أما مصنّفاته فكثيرةٌ منها :الرّوض الأنُف في شرح السيرة ،وهو من أشهر كتب السيرة وهو مطبوع ، والتعريف والإعلام بما فى القرآن من الأسماء والأعلام ، وشرح آي الوصية مطبوع، ومسألة رؤية الله ورؤية النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- ، ومسألة السِّر فى عور الدجال ، وشرح الجمل لم يتمَّه ، ونتائج الفكْر فى النحو ، وهذا الكتاب من أعظم كتب النحو ، وفيه ربط للنحو بالدلالة ، حقق مرتين ، وله القصيدة السائرة

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع أنت المُعَدُّ لكل مايتوقع

يامن يرجّى للشدائد كلها يامن إليه المشتكى والمفزع

يامن خزائن رزقه فى قول كن امنُن، فإنَّ الخير عندك أجمع

مالى سوى فقرى إليك وسيلة بالافتقار إليك ربي أضرع

مالى سوى قرعي لبابك حيلة فإذا رددت فأي باب أقرع

ومن الذي أدعو وأهتــف باسمه   إن كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشى لجدك أن يقنّــط عاصيا   الفضـــلُ أجزل والمواهب أوسع

توفي -رحمه الله- سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

والثالث **الأعلم**، وهو العلّامة الفهّامة أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيســى النَّحوي، المعروف بالأعلم الشَنْتَمَري، بالشين المعجمة المفتوحة، ونون ساكنة، وتاء وميم مفتوحتين، نسبة إلى مدينة بغرب الأندلس، لا الّتي بالشرق.

قال ابن خلكان: " وكان عالماً بالعربيَّة واللغة، ومعاني الأشعار، حافظاً لجميعها كثير العناية بها، حسن الضبط لها، مشهوراً بمعرفتها وإتقانها، أخذ النَّاس عنه كثيراً، وكانت الرِّحلة فى وقته إليه ".

أخذ عن أبي القاسم الإفليلي، ومسلم بن أحمد الأديب.

من مصنفاته: شرح الجمل فى النَّحو لأبي القاسم الزجاجي، وشرح أبيات الجمل، وأعان شيخه الإفليلى فى شرح ديوان المتبني، وقيل له شرح الحماسة، وقيل شرح الحماسة هو شرح ديوان المتبنِّي، وقد طُبع شرح حماسة أبي تمّام للشنتمري فى مجلدين حقّقه علي المفضل حمودان، وله أيضاً شرح ديوان زهير أبى سلمى، وأشعار الشعراء

الستة الجاهليين اختيار الشنتمري،وتحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب فى علم مجازات العرب وقد حُقق أيضا، وقداستخرج فيه شواهد كتاب سيبويه مع تلخيص معانيها ، وتسهيل مراميها ، مع ذكر موطن الشاهد، وكتاب النكت فى تفسير كتاب سيبويه ، وقد حققه رشيد بلحبيب في ثلاثة أجزاء.

توفي – رحمه الله – سنة ست وسبعين وأربعمائة ، وقيل غير ذلك ، والخلاف فيها كبير .

أمّا السادس فهو الإمام الجَزَوليّ ، بفتح الجيم والزّاى ، أو الكزولي بالكاف ، واسمه عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى بن يوماريلي البربري المراكشي،قال ابن خلكان : "كان إماماً فى علم النّحو،كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشاذّه،وصنّف فيه المقدمة التى سمّاها القانون ، ولقد أتى فيها بالعجائب ، وهى فى غاية الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النّحو ، ولم يسبق إلى مثلها ، واعتنى بها جماعةٌ من الفضلاء فشرحوها ، ومنهم من وضع لها أمثلة ، ومع هذا كله فلا تفهم حقيقتها ...".

أخذ عن كبار الأندلسيين وهو في ناحية الاندلس ، وارتحل إلى المشرق ، وأخذ عن ابن برّي ولازمه ، ثم إنّه اســتوطن المرية بعد عودته من المشرق ، وتوفي قرب مراكش

سنة عشر وستمائة رحمه الله تعالى بناحية يقال لها أُزمورَّة .

أقول : وقد شرح المقدِّمة الجزوليَّة - وقد حققت- شراحٌ كثيرون من أئمَّة اللغة ، منهم تلميذه الشلوبين ، وقد شرحها في شرح كبير ومتوسط مطبوع ، والإمام ابن مالك صاحب الألفيَّة ، وابن الخبَّاز ، وابن أم قاسم المرادي.

والخامس : الزُّبيديُّ ، بضم الزَّاي نص عليه ابن قاضي شهبة في طبقاته أبوبــكر محمَّد بن الحسن بن عبد الله بن مدحِج (بكسر الحاء) بن محمَّد بن عبد الله بن بشر الزَّبيدي بفتح الزاى ، الإشبيلي ، أحد علماء اللغة البارزين وقضاة الأندلس المشهورين ،قال الحميديُّ صاحب جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس : "من الأئمَّة فى اللغة العربيَّة ، ألَّف فى النَّحو كتاباً سمَّاه الواضح ، واختصر كتاب العين اختصاراً حسناً، وجمع فى الأبنية ، وفى لحن العامَّة ، وفى أخبار النَّحويين كتباً مشهورة ، وفى غير نوع من الأدب ، وكان شاعراً كثير الشعر" ، وقد وقصدت بقولي (قد جاءنا معطرا تاريخه) كتابه طبقات النحويين ، وهو كتاب عظيم أثنى عليه أهل السير.

وذكر له السُّيوطيُّ أيضاً كتاب هتك ستور الملحدين ، وقال فيه ابن خلكان:" كان واحد عصره فى علم النَّحو وحفظ اللغة ، وكان أخبر أهل زمانه بالإعراب والمعاني

والنَّوادر إلى علم السير والأخبار ، ولم يكن بالأندلس فى فئة مثله فى زمانه ، وله كتبٌ تدل على وفور علمه".

ومن أشهر شيوخه العلَّامة أبو عبد الله الرباحي الآتي ذكرُه ، وأبو علي القالي صاحب الأمالي.

ولقد رأيتُ عند كتابة هذه الترجمة ما نقله الزَّركشي في برهانه أنَّه (الزّبيدي) كان شديد الإنكار على من يقول بالزائد في القرآن.

ومن تلامذته: ابنه الوليد ، والإمام إبراهيم بن محمد الإقليمي النَّحوي.

توفي – رحمه الله – سنة تسع وسبعين وثلاثمائة بإشبيلية.

والسادس هو الإمام الرباحي، وهو محمَّد بن يحيى بن عبد السَّلام الأزدي الأندلسي النَّحوي المعروف بالرباحي ، قال الحميدي فى كتابه جذوة المقتبس:" نحويٌّ مشهورٌ ذكره أبو محمَّد عليُّ بن أحمد ، قال:كان لايقصُر عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرِّد" ،وقال النَّحويُّ المؤرِّخ الزُّبيديُّ : " لقي النَّحَّاس فحمل عنه كتاب سيبويه رواية ، ولازم علان ، وناظره".

وأصله من جيَّان ، وكان علمه الغالب عليه علمَ العربيَّة ، ونقل السيوطيُّ عن

ابن الفرض قوله فى صاحب الترجمة :"وكان فيها إماماً لايقصُر عن أكابر أصحاب المبرد ، جيد النظر ، دقيق الاستنباط ، حاذقاً بالقياس ، صادقاً ، صالحاً ، ذكياً ، فقيها ، شاعراً ، مشهوراً ".

وقال الزُّبيدي أيضاً:"وكان حاذقاً بعلم العربية ، دقيق النظر فيها ، لطيف المسلك فى معانيها ، غاية فى الإبداع والاستنباط " .

أخذ عن ابن الأعرابي والنحاس ، وابن ولّاد ، وكلهم نحاةٌ مشهورون ، وفى ترجمـــة الرباحي دليل على قدم الأندلسين في علم النَّحو ، وهو شيخُ محمد بن الحسن الزبيدي الذى مرّ ذكره ، وقد ترجم له فى كتابه طبقات النحويين الذى بدأ فيه بذكر أبي الأسود وختمه بشيخه الرباحي ، ولم أر من أشار إلى شيء من مؤلفاته .

توفي الرباحي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وقيل سنة ثلاث وخمسين رحمه الله .

ثم ختمت الحديث عن بعض أعلام هذه المدرسة بالدُّعاء لهم ؛ لما قدَّموا لأمة الإسلام من أعمال جليلة فقلت:-

فالله يجزيهم على ما سهلوا ونظموا ووضحوا ونقلوا

وهذا من حق السلف على الخلف،أي: الدُّعاء لهم ، ومعلوم أن مصنفاتهم ممّا لا تنقطع

به أعمالهُمُ الصَّالحة إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها ، والدَّليل قوله – صلى الله عليه وسلم- ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَ من ثلاث: صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به ﴾.

وإننا نرجو ممن بأيديهم الأمور ، وكلفوا بالمهام أن يعرفوا لأسلافنا حقّهم فيطلقون أسماء هم على المساجد ، والمدارس، والشوارع ، والميادين ،حتى يرسخ ذكرُهم ، ويبقى أثرُهم – فبمثل هذه الأشياء ترسخ الأشياء ، وكم مرة حزنا لما وصل إليه حال أبنائنا الذين يعرفون عن أعلام الغرب ، ومهرجيهم ، وفساقهم ، ورياضييهم ، شيئا كثيرا ، ويجهلون تاريخ أئمّتنا الذين بلغت السماء رتبتُهم ، وأضاءوا العالم في وقت جهلت فيه الأمم الأخرى .

نحاة مصر والشام

وبعد الانتهاء من ذكر الأندلسين شرعت فى ذكر بعض علماء مصر والشَّام من النَّحويين فقلت:-

فى مصر قد كان له نبوع وفى دمشق درسه يضوع

لايخفى على باحث ما للمصريين والشَّاميين من فضل فى التأليف النَّحوي ، وعقد مجالسه ، وتسمية كثير من العلماء النَّحويين بالمصري والشَّامي شائعةٌ فى كتب التراجم ، وقد ذكرتُ فى هذا النَّظم بعضَهم لا على أنَّ لهم سماعا فهم متأخرون عن زمن السَّماع ، وإنَّما ذكرهم اعترافاً بفضل علماء هذين البلدين على سائر بلاد الدنيا في قرون سابقة ، فقلت:

ابنُ جماعه والمرادي الكامل وابْنُ عقيل والسُّيوطي الفاضلُ

والأزهريُّ صاحب التصريح وابن هشام صاحب التوضيح

فابن جماعة يُراد به اثنان وكلاهما نحويٌّ ، وقد أهمل السيوطيُّ ذكر أحدهما ، فالأوَّل محمّد ابن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن عليّ بن جماعة بن حازم بن كنانة

الشافعي ، وكنيته أبو عبدالله ، أمَّا لقبه فهو بدر الدِّين ، وقد اشتهر بنسبته إلى جـــده الرابع ، ولذا ذكرته بهذه الشهرة .

وهو من أشهر أعلام مصر ودمشق ، تولى القضاء وأفتى صغيرا ، ولازم التدريس وشيوخه كثيرون ، منهم جمال الدين محمد ابن مالك صاحب الألفية ، والقاضي تقيُّ الدين ابن رزين الحموي ، وابن أبي اليسر مسند الشام ،وابن القسطلّاني ، وغيرهم

وأمَّا تلاميذه فهم كثيرون ، وأشهرهم برهان الدين الشَّامي ،وعبدالوهاب السُّبكي.

وقد أجمع من ترجم له على عظمته ،وحسن سيرته ،مع الزُّهد والتقشُّف ، وإقبال الدُّنيا عليه.قال السُّبكي:"محدثٌ فقيهٌ ذوعقل ، لا يقوم أساطينُ الحكماء بما جُمع فيه " وقال ابن كثير فى البداية والنهائية:"ولة التَّصانيف الفائقة النَّافعة ".

ومن مصنفاته: كشف المعاني عن متشابه المثاني وقد حققه عبد الغفار بدرالدين ، وغُرر البيان لمبهمات القرآن ، والفوائد اللائحة من سورة الفاتحة ، والمنهل الروي فى مختصر علوم الحديث النَّبوي ، وهو مطبوعٌ بتحقيق الدكتوز محي الدين عبد الرَّحمن ، وأرجوزة فى قضاة مصر ، وأخرى فى قضاة دمشق ، وثالثة فى الخلفاء ، وتحرير الأحكام

وحققها فؤاد عبد المنعم ، وتذكرة السَّامع والمتكلِّم فى آداب العالم والمتعلم وقد حققه السيد محمد هشام الندوي ، وهو من أحسن الكتب فى مناهج البحث ، وشرح كافيـــة ابن الحاجب ، ولسان الأدب ، وغيرها كثير.

توفي – رحمه الله –سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة.

وهو جدُّ محمَّد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمَّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة قال فيه ابن حجر فى إنباء الغمر:"ونشأ مشتغلاً بالعلم،ومال إلى المعقول فأتقنه ، حتّى صار أمةً وحده" وفيه أنشَد :

وكان من العلوم بحيث يقضى　　　له فى كل فنٍّ بالجميع

وسمَّاه ابن حجر بإمام الأئمَّة ، ومن غريب ما يحكى فى ترجمته أنَّه حفظ القرآن فى شهرٍ في كل يوم حزبين ، واشتغل بالعلوم على كبر . قال السيوطيُّ:" وأتقن العلوم ، وبرع فى سائر الفنون ، حتَّى صار المشار إليه فى الدِّيار المصريَّة فى فنون المعقول ، والمُفَاخر به علماء العجم فى كل فنٍّ ، والعيال عليه ، وأقرأ أو تخرَّج به طبقاتٌ من الخلق ، وكان أعجوبة زمانه فى التقرير ، وليس له فى التأليف حظٌّ مع كثرة مؤلفاته التى جـــاوزت الألف ، فإنَّ لـــه على كل كتاب أقرأهُ التأليف والتأليفين، والثلاثة وأكثره

ما بين شرح مطوَّل ، ومتوسّط ، ومختصر ، وحواش ، ونكتٍ إلى غير ذلك".

أخذ العزُّ بن جماعة عن السِّراج الهندي ، والضياء القرمي ، والعلاء السيرامي ، والمحبّ ناظر الجيش ، وابن خلدون ، والتَّاج السُّبكي،والسِّراج البلقيني ، وغيرهم ، وقد أخذ عنه زكي الدين بن قدير ، وابن حجر ، والمحب الأقصرائي ، وعلم الدين البلقيني وغيرهم ، ولازمه ابن حجر ما يقرب من عشرين سنة ، ومن أشهر أقواله:" **أعرف ثلاثين علما لايعرف أهل عصري أسماءها"**.

ومن مصنفاته: حاشية على المغني لابن هشام ، حاشية على الألفيَّة ، مختصر التسهيل ، ومثلث فى اللغة ، مختصر التلخيص ، شرح جمع الجوامع ، حاشية على شرح منهاج البيضاوي ، وغيرها كثير.

توفي – رحمه الله – سنة تسع عشرة و ثمانمائة.

ثم قلت:(والمرادي الكامل) أي: الّذي كمُلت صفات العالم فيه.

وهو بدر الدين الحسن بن أم قاسم بن عبدالله بن علي المرادي ، وأم قاسم هي جدته أم أبيه ،نقل السيوطيُّ عن العفيف المطري أنَّه أخذ العربيَّة من أبي عبدالله الطنجي ، والسراج الدَّمنهوري ، وأبي زكريا الغماري ، وأبي حيَّان ، والفقه على الشرف

المقيلي المالكي ، والأصول عن الشيخ شمس الدين ابن اللبان ، وأتقن العربية والقراءات على المجد إسماعيل الششتري وصنّف وتفنن وأجاد.

ومن مؤلفاته: شرح التسهيل مطبوع ، وشرح المفصّل ،وشرح الألفية مطبوع متداول في أجزاء حققه فخر الدين قباوة واسمه شرح المقاصد والمسالك ، وعليه حواشٍ وشروح ، والجنى الدّاني في حروف المعاني ،وهو من أشهر كتبه، وكثر النقل عنه ، وقد حققه فخر الدين قباوة أيضا ، وشرح الاستعاذة والبسملة .

وعثر أخيراً على مخطوط ينسب إليه في الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها. ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بباريس.

وله أيضا :رسالة في الألف ، وأخرى في(كلا وبلى) ، وشرح القصيدة الشاطبية ، شرح الفصول النحوية لابن معطي ، شرح الكافية في النّحو ، شرح الكافية الشافية ، وشرح الجزولية ، وشرح الواضحة في تجويد الفاتحة ، منظومة في الطاء والضاد وغيرها.

ثم قلت:(وابن عقيل)، وأعني به العلّامة الفهّامة ، من كان طالبُ العربية أسير شكره و طليق برّه : عبد الله بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن محمّد بن محمّد بن عقيل القرشي الهاشمي ، العقيلي، شيخ النُّحاة بمصر في عصره ، قال الإسنوي في طبقات

الشَّافعية :" وكان إماماً في العربيَّة والبيان" ، ويغنيه عن كـــل قول قول أبي حيَّان "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل".

أخذ عن التقي الصائغ ، والزين الكتاني ، والعلاء القونوني ، والجلال القزويني ، وأبي حيان ، وغيرهم ، وممَّن أخذ عنه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني.

ومصفاته كثيرة منها: تفسير البقرة وآل عمران ، وفتاوى ابن عقيل ، والجامع النفيس في الفقه ، والمساعد في شرح التسهيل ،مطبوع ، وشرح الألفية وهو أكثر كتبه شيوعاً ، وقد انتفع به طلبة العلم انتفاعاً كبيراً ، ولشرح ابن عقيل على الألفية حواش كثيرة ، منها:حاشية السُّيوطي : السَّيف الصَّقيل ، وحاشية الخُضري ، وحاشية السِّجاعي ، وحاشية الجِرجاوي ، وحاشية قطّه العدوي ، وغيرها ، وقد ترجم شرح ابن عقيل على الألفية إلى الألمانية ، ومن كتبه أيضاً كتاب تيسير الاستعداد لرتبه الاجتهاد.

توفي –رحمه الله– سنة تسع وستين وسبعمائة.

ثم قلت : (والسيوطي الفاضل) أي: أفضل أهل زمانه علماً وفهما ، وهو الإمام الجليل عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن محمَّد بن أبي بكر بن عمر بن خليل بن نصر بن

الخضر بن الهمام الجلال السُّيوطيُّ الأصل ، الطولويُّ ، الشَّافعيُّ، قال الشوكاني:" ورفع الله له من الذكرالحسن ، والثناء الجميل ،ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين" ذكر ذلك في معرض الردِّ على تحامل السَّخاوي عليه في الضوء اللامع.

ويشير مترجموه إلى أنَّه أظهر ذكاءً ونبوغاً منذ صغره ، فحفظ القرآن وهو في الثَّامنة من عمره ،كما حفظ عمدة الأحكام ، ومنهاج الفقه ، والأصول للنووي ، وألفية ابن مالك وغيرها ، وقد تعهد بتربيته بعد وفاة أبيه الكمال بن الهمام الخضري.

وقد ادّعى السيوطيُّ الاجتهادَ المطلقَ في العربيَّة ، وأنَّه أعلم أهل زمانه بها ، ومؤلفاته فيها تدلُّ على تبحره وصدقه فيما ادعاه .

أخذ الجلال السيوطيُّ عن الأقصرائي ، وشرف الدين المناوي ، والسفر الحنبلي ، والمرزباني ، وجلال الدِّين المحلي ،ومحي الدِّين الكافيجي ، وهوعمدة شيوخه ، وقد لازمه أربع عشرة سنة ،كما أخذ من آسية بنت جارالله بن صالح ، وأم هاني بنت أبي الحسن الهرويني ، وأمِّ الفضل بنت محمد المقدسي .

وأشهر تلامذته ابن إياس ، وشمس الدين الدَّاودي ، وشمس الدين الشَّامى ، وشمس الدين بن طولون.

أمَّا مؤلفاته فهي كثيرةٌ ، يقول ابن إياس في تاريخ مصر: " إن مصنَّفات السُّيوطيِّ بلغت ستمائة مصنف".

وقد كانت مصنفاته في علوم عدة،ومن أشهرها: الإتقان في علوم القرآن،والدرُّ المنثور،والجامع الكبير،والمزهر في علوم العربيّة،وطبقات الحفاظ،وطبقات المفسِّرين، ولباب النقول في أسباب النزول،وحسن المحاضرة،والأشباه والنظائر،وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع في النَّحو وإعراب القرآن،وبغية الوعاة،وغيرها كثير،وقد لاقت مؤلفاتُه إقبال النَّاس،ورضا أهل العلم،وهي في كل فن عُمدة وقد طبع كثير منها.

اعتزل السُّيوطي النَّاس بعد خصوماته مع مُدَّعي التَّصوف وبعض علماء عصره، كالبرهان الكركي،والشمس الجوجري،والسَّخاوي الذي اتَّهمه بسرقة مؤلفات مَن سبقوه،ونسبتها إلى نفسه .

كان السيوطيُّ يقول عن نفسه : "إنِّي ترجّيت من نعم الله وفضله أن أكون المبعوث على هذه المائة،لانفرادي عليها بالتبحُّر في أنواع العلوم" .

توفي السيوطيُّ بالقاهرة سنة إحدى عشرة وتسعمائة قال الغَزّي في الكواكب السائرة:"وكان له مشهدٌ عظيمٌ، وصُلي عليه غائبة بالجامع الأموي بدمشق" .

ثم قلت متابعاً في ذكر علماء هذين البلدين:

والأزهري صاحب التصريح وابن هشام صاحب التوضيح

فالأزهريُّ هو الإمام خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمَّد أحمد الجرجي ، الأزهريّ ، الشافعيّ النَّحويّ ، ويعرف بالوقَّاد قال السَّخاوي : "وبرع في العربيَّة وشارك في غيرها ، وأقرأ الطلبة "وقال صاحب الكواكب السائرة : " وكثر النَّفع بتصانيفه لوضوحها " .

أخذ عن يعيش المغربيّ ، وداوود المالكيّ ، والسَّنهوريّ ، والأمين الأقصرائيّ ، والتَّقي الحصني ، والشمنّي ، وعلم الدِّين السَّخاوي ، وغيرهم.

ومن مصنفاته: شرح التَّصريح على توضيح ابن هشام وقد عرَّفْتُه به لشهرته بين طلبة العلم ، وقد وضعت عليه حواشٍ كثيرة ، واسمه التصريح بمضمون التوضيح ، ويعدُّ متمّماً لكتاب ابن هشام المصري الآتي ذكره (أوضح المسالك) ، وقد طبع كثيرا ، ومن أشهر حواشيه حاشية الشيخ ياسين العليمي الحمصي ، ومن كتبه أيضاً: تمرين الطلَّاب في صناعة الإعراب ، وإعراب الأجرومية ، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب حققه

عبد الكريم مجاهد ، وشرح البردة ، وشرح المقدمة الجزرية ، والألغاز النحوية ، والمقدمة

الأزهرية في علم العربية ، وكلها مطبوعة ،وكانت وفاته سنة خمـــس وتسعمائة عند

عودته مـــن الحجِّ رحمه الله تعالى.

أما ابنُ هشام صاحب التَّوضيح فهو العلَّامة ، الفهَّامة، سيبويه عصره ، ومجتهد

دهره ، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاريّ الشيخ جمال الدين الحنبليّ ،

وكان شافعياً ، قال الشَّوكانيُّ في البدر الطَّالع :"وقد تصدر صاحب الترجمة — أي ابن هشام —

للتدريس ، وانتفع به النَّاسُ ، وتفرَّد بهذا الفن ، وأحاط بدقائقِه وحقائقِه ، وصار له من

الملكة فيه ما لم يكن لغيره ، واشتهر صيتُه في الأقطار ، وطارت مصنَّفاتُه في غالب الدِّيار

، حتَّى قال ابن خلدون: مازلنا نحن بالغرب نسمع أنَّه قد ظهر بمصر عالمٌ يقال له ابن

هشام أنحى من سيبويه".وقال ابن حجر في الدرر الكامنة: "وانفرد بالفوائد الغريبة ،

والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البالغ ، والاطِّلاع المفرط".

أخذ عن ابن المرحّل ، وابن السرّاج ، والتَّاج التبريزي ، والتَّاج الفاكهانيّ ،وغيرِهم

، وسمع من أبي حيَّان ديوان زهير بن أبي سلمى ، ولم يلازمه ، ولاقرأ عليه.

ومن **مصنَّفاته**:مغني اللبيب عن كتب الأعاريب قال ابن حجر:"اشتهر في حياته، وأقبل النَّاس عليه"، وقال الشوكاني:"**وهو كتابٌ لم يُؤلَّف في بابه مثله** "، وعليه حواشٍ كثيرةٌ ، ويقوم صديقنا الفاضل الشيخ محمد الزَّرُّوق بدراسة شروحه ، وبلغ من عنايتهم به أنَّه نُظم ، وممَّن نظمه الشيخ محسن بن عبد الكريم المتوفى سنة (**1266هـ**) في كتاب وسمه بـــ(السلك المغني في نظم مفرادات المغني) وله نسخ كثيرة ، وله أيضا:شرح بانت سعاد ، وشذور الذهب ، وقطرالندى ، وعليهما حواش كثيرة ، وشرحان على الألفية الأوَّل أوضح المسالك، وقد أشرت الى صاحب الترجمة بهذا الشرح لشهرته ولأميزه من ابن هشام الخضراوي الأندلسي، والآخر اسمه دفع الخصاصة ، وله أيضا شرح اللمحة لأبي حيان محقق مرتين ، والتَّذكرة ، وغيرها كثير،وكان كثير المخالفة لأبي حيَّان ،كما كان أبوحيان كثير المخالفة للزَّمخشري ، وهذه المخالفات تُظهر قيمة الرجال ، ورشد الأقوال.

ومن شعره:

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ... ومن يخطب الحسناء يصبرعلى البذل

توفي رحمه الله سنة إحدى وستين وسبعمائة.

من علماء العجم المتأخرين

وبعد الفراغ من ذكر بعض علماء مصر ، والشّام ذكرتُ بعضَ علماء الرُّوم والتُّرك الذين كان لهم تضيُّبٌ في إثراء النَّحو العربيِّ بشرح الموجز ، أو اختصارالمطوَّل ، أو ترجيح قولٍ على قولٍ ثم يقوم ثالثٌ ويناصر أحد الرأيين فقلت :-

للرُّوم كان فيه سهمٌ وافر   فشرحوا وأوجزوا وناصروا

ومن هولاء الأعلام الامام الكوثريُّ ، والإمام الأطهوي ، والإمام الجامي، وقد ذكرت الكوثري - وان كان غير بعيد الزمن - ليعرف القرّأة أن دولة التُّرك إلى عهد قريب لم تكن بالسُّوء الذى يصوِّره أعداءُ الإسلام ، بل كان منها علماءُ مبرّزون يذوذون عن شريعة الإسلام ، والأئمة الكرام ، وتركوا ديارهم ومناصبهم ، ورحلوا فارِّين بدينهم ، وفى تلك إشارة الى أنّ الخير مازال فيها ، ولايضير التّرك العُصبة الحاكمة الشاذّةُ الّتى أرتأت ترك الدِّين واعتناق العلمنة ،وندعو اللهّ أن يهدي العُصاة ويدحرّ العداة ، ولله درُّ القائل فيهم وهو محرّم:

لولابنو عثمان والسنن الّذي   شرعوا لما وضُح السبيل الأقوم

سطعوا بآفاق الخلافة فانجلى   عنها من الحدثـــان لـــيلٌ مظلم

فهم ولاة أمورها وكفاهًا　　　　وهم حمـــاة ثغورها وهـــمُ همُ

ويكفي السُّلطان عبد الحميد أنّهُ شهد له خصمه (هرتزل) الباحث الأول في فكرة الدولة اليهودية بقوله:" إنّه لايتخلّى أبداً عن القدس" فرغم كلّ هذه المغريات ولأحوال القاهرة لم يقبل بيع فلسطين ، ولم يجدِ معه الترهيب ولا الترغيب الذى سلّط عليه ، وأُغري به من كل مكان.

وعندما استحوذ الكماليون على مقاليد الحكم تعرَّض علماء الترك للمضايقة كزاهد الكوثري ، ومصطفى صبري ، وسعيد النّورسي وغيرهم ، وفى عام 1926م حذف من الدُّستور المادَّة التى تنصُّ على أنَّ الإسلام دين الدولة ، وفشت مظاهرُ الإلحاد ، ونبذ الحجاب حتى قال أحدهم:"ستكون أدمغتُنا وعقليتُنا غربيةً " والحديث فى هذا يطول ، وهو حديثٌ محزنٌ تنفطر منه قلوبُ الصادقين ، وتدمع له مآقي المخلصين فلا تلتفت أيُّها المسلمُ الى ما يُشنُّ ويُزوَّر على تاريخ هذه الدّولة فقد كان فيها من الفحول ما تقصُر عن حقوقهم المؤلّفاتُ الطّوال ، وتبقى فى كل دولة مساوئُ لا يمحوها التّزويق والتلفيق ، ويكفيها شرفاً أنّها حمت ديار الاسلام ، ورفعت راية الجهاد سنين طويلة، وقد ذكرتُ منها من علماء اللغة كما أشرت سابقاً ثلاثة فقلت:-

كالكوثري والأُطهوي والجامي رسّل القدامى أصدق الأقوام

فالكوثري هو محمد زاهد بن حسن الحلمي الكوثريُّ ، نسبة الى قرية كوثر بضفة نهر شيز من بلاد القوقاز ، وقيل نسبةً الى جده.

أخذ عن والده علوم الفقه والحديث ، فقد كان أبوه متفرغاً لتدريس هذين العلمين ، وقيل درَّس غيرهما ، وأخذ العربية ، والتاريخ ، والرياضيات ، على الشّيخ ناظم الدوزجوي ، كما أخذعن إبراهيم حقّي الأكيني ، ويوسف التكوشي، وشيخ المشايخ أحمد شاكير الكبير،والإمام الكتّاني(محمدبن جعفر) ، ويوسف الدّجوي وغيرهم ، وأجيز بالعالمية سنة 1907م.

وبعد استخواذ الكماليين على السُّلطة رحل الى مصر والشام ، ثم استقرَّ به المقام فى مصر ، وعاش هناك عيشة الكفاف من ترجمة الوثائق التركية بدار المحفوظات.

وقد أخذ عنه كثيرون منهم أحمد خيري باشا ، وعبدالفتاح أبوغدة ، وكان لشدَّة تعلُّق أبي غدة بالكوثري أن نُسب إليه فيقال:أبوغدَّة الحنفي الكوثري ، ومحمد إحسان بن عبدالعزيز ، ومحمد إبراهيم الختني المدني.

أما مؤلفاته فهي كثيرةٌ ، ورغم قرب زمنه ، وشيوع الطّباعة فى عصره ،فإنّ كثيرا

من كتبه قد ضاع ، أومازال مخطوطاً ، فمن مؤلفاته المخطوطة: إزاحة شبهة المعمّم عن عبارة المحرم وهو رسالةٌ صغيرةٌ من صفحاتٍ معدودةٍ فيه ردٌّ على شيخ يُدعى بالمحرم شرح كتاب الفوائد الضيائية فى شرح كافية ابن الحاجب لعبد الرحمن الجامي الآتي ذكره ، وكتاب تدريب الطلّاب على قواعد الاعراب ، وكتاب البحوث الوفيّة فى مفردات ابن تيمية ، وتحذير الخلف من مخازي أدعياء السّلف ، وتدريب الوصيف على قواعد التصريف ، ورفع الريبة عن تخبطات ابن قتيبة ، والمدخل العام لعلوم القرآن فى مجلدين .

ومن مؤلفاته المطبوعة: الاشفاق فى أحكام الطلاق ، وبلوغ الأماني فى سيرة الإمام الشّيباني، وتاريخ الفرق وتأثيرها فى المجتمع، والحاوي فى سيرة الطّحاوي ، ومحق التقوّل فى مسألة التّوسُّل .

أما مقدماته وتعليقاته على الكتب فهي كثيرةٌ نافعةٌ ، تدلُّ على سعة الاطلاع ، وعمق البحث،**وله مقالاتٌ** حوت فوائدَ في التّاريخ ، والفقة وأصوله ، والواقع المعاش ، وقد جُمع كثيرٌ منها فى كتابٍ نافعٍ يحملُ اسمَ مقالات الكوثري وهو مطبوعٌ متداول.

وقد عرف - رحمة الله - بقوة الذاكرة ، وضبط الأسماء مع حفظها ، وتمكنٍ من

اللغات ، مع شدة الديانة ، وطيب الخلق ، وعفّة النفس ، وأُخذ عليه التعصب للسادة الأحناف.

والحقُّ أنه ترك أقوالا لأبي حنيفة عندما ظهر له قوّة دليل مخالفها ، وبالجملة فقد كان – رحمه الله – مصلحاً ، اعترف له علماءُ العصر بالتّبحر فى العلوم ، والدّليل على ذلك طلبُ الأزهر من الكوثري إعطاءَ تصوّرٍ عن إصلاح التعليم بالأزهر ، ولم يكن الأزهر فى ذلك الوقت ، وهو الغنيُّ بعلمائه ، المفاخر بأبنائه ليخاطب الكوثريَّ ، لولا ثقته بنظرته الثاقبة ، ورؤيته الشاملة ، ولاتلتفت الى من طعن فى علمه ودينه ، فإنّما هى طعون الأقران أو الحَسَدة ، ومن هذه الطعون: طعن عبد الرّحمن المعلمي، ومحمّد بهجة البيطار ، ومحبّ الدّين الخطيب

ومن العلماء الذين نقدوه فى مواطنَ مع الاعتراف بفضله: الشيخ الكبير مصطفى صبري.

وقد ناصره كثيرٌ من أهل العلم كالشّيخ محمد أبو زهرة ، والشيخ بخيت المطيعي، وأحمد خيري ، والشيخ مصطفى عبد الرازق.

انتقل إلى جوار ربّه – رحمة الله– سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألــف عن خمس

وسبعين سنة بمصر.

ولمزيد من المعرفة حول هذا الرّجل الكريم ، ارجع إلى ماكتبه الدّكتور عمّار حيدل بعنوان : (شيخ الإسلام محمد زاهد الكوثري) فقد أعطى الرّجل ما يستحقُّ من البحث والتحليل ، فجزاه الله خيراً.

والثاني هو الإمام الأطهوي،وهو مصطفى بن حمزة بن إبراهيم بن مصلح الدين الرُّومي الحنفيُّ الأطهويُّ ، وفى الأعلام للزركلي: "(أطه لي) ، وتلفظ أضلي بفتحتين ، من علــماء التُّرك، مولده فى طرابزون استوطن إستنبول ...... له كتب عربية منها : (نتائج الأفكار فى شرح الإظهار) ، و(حاشية على امتحان الاذكياء للبركلي ".

وكتابه نتائج الأفكار فى شرح الإظهار محققٌ حققه غير واحد.

توفي بعد عام خمس وثمانين وألف – رحمة الله تعالى–.

أمّا الجّامي: فهو العلّامة عبد الرّحمن بن أحمد الجّامي الحنفيّ ، قال الشّوكانيٌّ في البدر الطّالع:" اشتغل بالعلوم أكمل اشتغال حتى برع فى جميع المعارف ".

وجاء فى الأعلام للزركلي:" مفسّرٌ فاضلٌ ، ولد فى جام من بلاد ما وراء النهر ، وانتقل الى هراة ، وتفقّه ، وصحب مشايخ الصوفية ، وحجّ ، فطاف البلاد ، وعاد إلى

هراة فتوفي بها".

وله من المصنّفات: شواهد النبوة بالفارسيَّة ، ونفحات الأُنس بالفارسيَّة أيضا ، وشرح فصوص الحكم لابن عربي.

قال الإمام الشوكاني:"وله نظم بالفارسية يتنافس فى حفظه أهل تلك اللسان "،وله أيضا: الدرة الفاخرة فى التصوف وهومطبوع ،وشرح الرسالة العضدية ، وشرح الكافية فى النَّحو ، وهو من أحسن شروحها ، وقد ألَّفه لابنه ضياء الدِّين يوسف طبع قديما ، ثمّ حقّق مرتين لنيل الدكتوراه ، ولم أره مطبوعا.

ولقد رأيتُ نحو إحدى عشرة حاشية على شرحه هذا ، ومن أشهرها حاشية العصام على الجّامي، وحاشية عبد الغفور اللاري .

خاتمة فى ذكر بعض كتب النحو

ثم قلت مخاطبا طلبة العربية ، والمقبلين على دوحتها الشريفة منبّهاً على ضرورة معرفة مشتملات بعض كتب النّحو وهي كثيرةٌ :

يـــا من أراد مهنة الإعراب فخذ بنصح القوم للطـــلاب

فـــاحفظ متوناً فيه كـــالآلي قد شـــادها أماثل الرجـــال

مفصَّل الزمخشري والمغـــــني والفارسي ياصاح وابن جنّي

وشرح الأشموني مع التكميل مقتضـــب المبـــــردالجليل

وتـــاجها خـــزانة البغدادي تهدي الطريق جمـــلة القـــصاد

وقد اشتملت هذه الأبيات على الإشادة بمفصّل جار الله الزمخشريّ ، ومغني ابـــن هشام ، وكتب الفارسيّ وابن جني ، وشرح الأشموني على الألفية ، وكتاب التـــذييل والتكميل على شرح التّسهيل لأبي حيَّان ، والمقتضب لمحمد بن يزيد المبرد ، وختمتـــها بخزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادي ، وسأشير إلى فضل هذه الكتب على سبيل الاختصار ، ولا يعني أنها مقدمةٌ على غيرها ، ففي مكتبات العـــالم آلاف الكتـــب في النَّحو، لا نعرف كثيراً ممَّا في باطنها ، وإن أشار أصحاب التراجم إلى عظمة بعضـــها،

وفي المطبوع منها ما لا يختلف اثنان على عظمته كالكتاب لسيبويه ، ومعاني القـــرآن للفراء ، والأصول لابن السرَّاج ، وغيرها.

فإن قال قائلٌ: ولَمَ لم تذكر كتاب سيبويه وتحث الطلبة على قراءته؟ أقولُ: إنّهُ تقـــدَّم بيانُ عظمته في قولي:

كــتابه قــرأها المســطور

كما أن كتاب سيبويه لا ينصح به المقبلون على تعلُّم العربيَّة ، لدقة ألفاظه ، وصـــعوبة تراكيبه ، بل إن شروحه قد تحتاج لشرح يعي ذلك من له قدمٌ في العربيَّة ، والدَّليل على ذلك ما تجده في كتب النَّحو من عبارات مثل:(وهو ظاهر كلام سيبويه) التي تحمـــل إشارات متعددة إلى مقصد كلامه .

ومقصدي من هذا النَّظم التَّعريفُ ببعض الأعلام وبعض الكتب ، وما لا يدرك كُلُّه لا يترك جُلُّه و– إن كنتُ قد تركت الكثير –، ويعذرني ذكرُ جملة من المشاهير.

أما المفصَّل ، فهو للعلَّامة محمود بن عمر الزَّمخشريُّ ، شيخ اللغويين في عصـــره، قال أبو البركات الأنباريُّ عن المفصّل عند عرضه مؤلفات الزمخشري:"وصنَّف كتبـــاً حسنة منها: كتاب الكشَّاف عن حقائق التّنزيل ، وكتاب الفائق في غريب الحـــديث

،وكتاب ربيع الأبرار ، وكتاب أسماء الأودية والجبال ، وكتاب المفرد والمؤلف في النَّحو ، وكتاب المفصَّل في النَّحو، وكان يزعم أنه ليس في كتاب سيبويه مسألة إلا وقــد ، تضمّنها ".

وقد لخُص المفصَّل في الأنموذج وهو للزمخشري أيضاً ، ثم شُرح الأنموذج بشــروح عدَّة ، مثل شرح الأردبيلي، فانظر إلى هذا التسلسل،تلخيص الكتاب في المفصَّــل ، ثم اختصار المفصل ،ثم شرح المختصر ، وقد شرح المفصَّل بشروح كثيرة ، مبرهنا علـــى قوته في بابه ، ورداً على عيابه ، فمن هذه الشروح شرح موفق الدين بن يعيش مطبوع وشرح الخجندي المسمى بالإقليد وهو شرح كبير وقفــتُ عليــه مخطوطــا بمكتبــة الإسكندريّة ، وشرح ابن الحاجب المسمي بالإيضاح ، وأفضل طبعة له طبعة الــدكتور إبراهيم محمد عبدالله ، أما طبعة العليلي فهي سيئة ، وشرح الإسفندري ، وقد حقــق بجامعة أم القرى،وشرح مظهر الدين الزيداي المظهري،وشــرح الخــوارزمي المســمّى بالتخمير وحققه عبد الرّحمن العثيمين في أربعة أجزاء، وشرح السّخاوي وغيرها كثير ، وأفضل طبعة للمفصّل فيما أعلمّ طبعة الدكتور فخر صالح قدارة.

أمّا مغني ابن هشام فقد مر في ترجمة مؤلفه أنّه من أعظم كتب العربيَّة في بابه ، ولا

بأس أن نذكر شيئاً عنه بإيجاز، يقول صاحب أبجد العلوم:"ووصل إلينا بالمغرب لهـذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدّين بن هشام من علمائها ، استوفى فيه أحكامَ الإعراب مجمله ومفصله ، وتكلّم على الحروف ، والمفردات ، والجمل ، وحذفِ ما في الصّناعة من المتكرّر في أكثر أبوابها ، وسمّاه بالمغني في الإعراب ، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها ، وضُبط بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها ، فوقفنا منه على علم جمّ ، يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ، ووفور بضاعته منها ، وكأنّه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل ، الّذين اقتفوا أثر ابن جنّي ، واتبعوا مصطلح تعليمه ، فأتى من ذلك بشيء عجيب ، دالٌّ على قوة ملكته واطلاعه ، والله يزيد في الخلق ما يشاء".

وهو كتابٌ في خدمة الكتاب العزيز ، حوى ما فى كتب معاني القرآن ، و هو كذلك معجمٌ لحروف المعاني ، وتوضيحٌ لمشكل الأبيات ، وقد شرح المغني بشروح كثيرة كما أسلفت ، ومن هذه الشروح شروح الدماميني ، وشرح الدسوقي ، وشرح الحصفكي وشرح الأمير وهذه كلها مطبوعة.

ومنهم من اهتم بشرح أبياته كالسيوطي والبغدادي ، وكلاهما مطبوعٌ ، ومنهم من

نظمه كالشيخ محسن بن عبد الكريم(1266هـ) ، وما زالت الدراسات إلى يومنا هذا حول هذا السفر العظيم ، وآخر ما رأيت منها كتاب (تخريج شواهد النحو القرآنية في كتاب مغنى اللبيب مع شروح وتعليقات وإعراب المشكل منها) لأحمد جواد سليمان .

وتقدّم أنّه الفاضل الشيخ محمد الزروق بجمع شروح هذا السفر الكبير ، بالإعداد دراسة مفصّلة عنها لنيل درجة الدّكتوراه بدار العلوم بالقاهرة وفّقه الله تعالى ، وقد أخبرني أنّ شروحه تصل إلى خمسين شرحا بل تزيد ، وجمهرها مخطوطٌ.

ثم قلت: (الفارسي ياصاح وابن جني) في إشارة إلى معرفة كتب هذين العَلَمين الكبيرين ، لاسيما كتاب الإيضاح للفارسي ، والخصائص لابن جني ، فإنّهما من أعظم الكتب، فاحرص عليهما ، وفّقني الله و إيّاك إلى مرضاته آمين .

أمّا شرح (الأشموني) فهو المسمَّى: منهاج السالك إلى ألفيه ابن مالك كتبه عليُّ ابن محمد الأشموني، ويعدُّ من أعظم الشروح ، وقد اعتنى العلماء بهذا الشرح الكبير منهم الصبَّان ، والعبَّادي ، و الحفني ، وعلّيش المالكي ، والعيني الّذي شرح شواهده الشعرية ، وكلها مطبوعة متداولة.

أما التكميل فأعني به كتاب التّذييل والتكميل لأبي حيَّان الأندلسيّ ، وقد مرّت

ترجمتُه ، وهو من أعظم شروح كتاب التسهيل لا بن مالك ،فقد ألّف ابن مالك كتابه التسهيل وشرحه، ولكنَّه لم يتمَّه ،إذ إنّه وصل فيه إلى باب المصادر ، وقـام علماءُ كبار بشرح هذا الكتاب منهم : ابن عقيل وسماه المساعد، والدماميني وسماه تعليق الفرائد مطبوع ، وناظر الجيش وسمّاه تمهيد القواعد ، وقد طبع في عشرة أجزاء ونشرته دار السلام بمصر..

ويبقى شرح أبي حيان أشهر هذه الشروح ، وقد شرحه ابن هشام في كتاب سَّماه التفصيل لكتاب التذييل والتكميل ، وقد حقق بعضه حسن هنداوي في أربعة أجـزاء، ونشرته دار القلم ، وقد يصل إلى عشرين جزءًا ، وتحصّل أحد الباحثين واسمه وليد السراقبي على درجة الدكتوراه على أطروحة حول هذا الكتاب ،كما رأيت نشرة تشير إلى حصول باحثة أخرى اسمها سميحا زريقي من جامعة دمشق على درجة الماجستير حول الكتاب نفسه.

ورأيت مخطوطا كبيرا يشرحهُ عظيم الفائدة ، غزير المادة مصوّرا عن أصل بالأسكوريال لكنّه غير مكتمل ، ألّفه الإمام مُحي الدين عبدالقادر بن طراد المحيوي المالكي من علماء القرن التاسع ، وقد سمّاه هدايةُ السّبيل إلى بيان مسائل التّسهيل ، ولو

وجدت منه نسخة أخرى وحقق لكان عملا عظيما..

أما (**المقتضب**) فهو من أعظم كتب محمد بن يزيد المبرد ، قال أبو البركات الأنباري في ترجمه المبرد : "وصنَّف كتباً كبيرة ، ومن أكبرها كتاب المقتضب ، وهو نفيسٌ إلا أنّه قلّما يشتغل به أو ينتفع به". وذكر علة عدم اشتغال الناس به ، وهي أنَّ راويه عن المبرد هو الروندي أحد الزّنادقة ، فلم تطرح البركة في الكتاب.

أقول: هذا كلامٌ بعيدٌ غريب ، فكم من كتب عظيمة رواها من أهل الصلاح لم تلق شيوعا ، ويبقى الرواج أمراً متروكاً للزّمن فقد يتداول كتاب في زمن دون زمن ، إذا وجد من يدفع به إلى النَّاس ، كما دفع أبو حيَّان كتب ابن مالك.

وقد حقّق الكتاب الشيخُ محمد عبد الخالق عضيمة في أربعة أجزاء مع فهرسٍ دقيق لمحتوياتِه ، وهو ما أضاف إليه نوعاً آخر من البهاء.

ثم قلت :-

وتاجها خزانة البغدادي   تهدي الطريق لجلة القصاد

والبغداديُّ هو عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغداديُّ أحد كبار علماء القرن الحادي عشر،ومن مؤلفاته : حاشية على شرح قصيدة بانت سعاد لابن

هشام طبع بتحقيق نظيف محرم في مجلدين ، وكتاب شرح مقصورة ابن دريد ،وكتاب شرح أبيات المغني مطبوع، وشرح شواهد شرح ابن الوردي ، وقد حققه عبدالله السّلاّل إن لم تخن الذاكرة ، وشرح الأحاديث النبوية في شرح ابن الوردي ، وحقق أيضا ، وأعتقد أنّه للسلال ،وأعظم كتبه خزانة الأدب ولب لباب ألسنة العرب المشار إليه ، وهو شرحٌ لأبيات الرضي في شرحه لكافية ابن الحاجب ، وعدُّها ألف بيت،حلّ مشكلَها ، وأوضح غامضَها ، كما أنه بين مورد الشّاهد في كتب النَّحو الأخرى ، ويأتي بشواهدَ تؤيد الشاهد نفسَه كما اعتنى بذكر آراء النحاة ومذاهبهم ، فهوى بحق موسوعةٌ نحويَّةٌ كبرى ، وقد حققها تحقيقاً متيناً عبد السلام هارون ، ونشرته مكتبة الخانجي ، ثم إنّه حقّقها أيضاً محـــمَّد نبيل طريفي في ثلاثة عشر جزءاً بدار الكتب العلمية .

خاتمة

وبعد ذكر هذه الكتب تبدأ خاتمة النّظم فقلت :-

ياحاملاً لكتب النحاة	قد فزت بالتحقيق والثبات
إذا أردت فهم ذى الأبيات	فخذ بشرط النّحو بالبتات
فعلمه علمٌ جليل القدر	أقواله زاكية في النشر
وقدره مبجل مهيب	يسبي العقول سحرُه العجيب
وأهله ذوو ثناء سامق	وفنهم كجني نخلٍ باسق
لا صُفِّرت ديارُهم من عالم	وحفَظوا من جاهل وظالم
قد تمَّ ما أملت من نظامها	والحمد لله على ختامها
ثم الصلاة والسّلام أبدا	على النبي نجم أهل الاقتدا
وآله وصحبه الكرام	ماطلعت شمسٌ على الدوام

فاحرص على تعلم قواعدها ، ومعرفة مشائخها ، فإنَّها اللغة الكريمة العظيمة ، لغة القرآن المعجز ، ولك فى قول الرسول الأعظم -صلى الله عليه وسلم- حث على التعليم

وذلك قوله :﴿لاتقولوا ماشاء الله ، وشاء فلان ،ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان﴾

فانظر كيف دعاك لاستعمال (ثمّ) ، وحذرك من (الواو) ، وهو مالايدرك إلا بالنَّحو.

وفي الختام أدعو الله أن ينفع بهذا الموجز القاريءَ في فكره وإعمال نظره ، والنَّاظم في قبره وحشره ،وأن يحفظنا من الزلّات والهفوات ، ويسترنا بستره في الحياة وبعد الممات إنَّه سميعٌ مجيبٌ.

وقد كان الفراغ منه فى شعبان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه أبو أحمد

محمد أحمد الوليد الفيتوري الحسني

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

آمين

ثبت المصادر

- أخبار النّحويين لعبد الواحد بن عمر المقرئ (349هـ) ، تح محمد زينهم عزب ، دار الآفاق العربيَّة القاهرة ، 2003م .

- أخبار النّحويين البصريين ، للحسن بن عبد الله السِّيرافي (368هـ) ، تح محمّد إبراهيم البنّا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، 1985م.

- إشارة التّعيين وتراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (743هـ) ، تح عبد المجيد دياب ، نشرمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1 ، 1986م .

- الأعلام لخير الدين الزركلي (1976م) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 4 ، 1979م .

- إنباه الرواة على أنباه النُّحاة لجمال الدِّين لعليّ بن يوسف القفطي (646هـ) ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصريّة القاهرة ، 1369هـ .

- البداية والنّهاية لأسماعيل بن كثير (774هـ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1939م .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة لجلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي (911هـ) ،

تح محمّد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية بيروت ، ط1 ،2006م .

- البُلغة في تاريخ أئمّة اللغة لمحمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (817هـ) ، اعتناء بركات يوسف هبّود ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 2001م .
- تاريخ بغداد لأحمد بن علي البغدادي (462هـ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1349هـ .
- تاريخ العلماء النّحويين للمفضّل بن محمد بن مِسْعَر (442هـ) ، تح عبد الفتّاح الحلو ، دار هجر ، ط2 ، 1992م .
- تراجم طبقات النُّحاة واللغويين والمفسّرين والفقهاء ،لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة (815هـ) ، تح محسن غياض ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت، ط1 ، 2008م .
- سير أعلام النّبلاء لمحمّد بن أحمد الذّهبي (748هـ) ، تح شعيب الأرناؤوط ، حسين الأسد ، مؤسّسة الرّسالة ، ط1 ،1401هـ .
- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب لعبد الحيّ بن العماد الحنبلي (1089هـ) ، دار المسيرة ، بيروت ، ط2 ، 1399هـ .
- طبقات النّحويين واللغويين لمحمّد بن الحسن الزُّبيدي (379هـ) ، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1973م .
- الفِهرست لمحمّد بن إسحاق النّديم (438هـ) ، تح رضا تجدد ، طهران ،1971م .
- المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف القاهرة 1968م .

- مراتب النّـــحويين لأبي الطّيـــب عبد الواحد بن عليّ اللغوي (351هـــ) ، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ،ط2، 1974م .
- معجم الأدباء لياقوت بن عبدالله الحموي (626هـ) ، تح إحسان عبّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993م .
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لعبد الرّحمن بن محمّد الأنباري (577هـــ) ، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1967م .
- نكْت الهِمْيان في نُكَت العميان لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (764هـــ) تح أحمد زكي بك مكتبة الثقافة الدينية ، ط ، 2007م .
- وفيات الأعيان لأحمد بن محمد بن خلكان (681هـــ) تح إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، 1972م .

فهرس المـــــــوضوعات


شرح منظومة
الفتحِ الوَهْبيِّ في مُوجَز
تارِيخِ بعض أئمّة النّحوِ
العَرَبِيّ
صنعهُ
محمّد أحمد الوليد الحسنيُّ

